

## شمران الياسري (أبو كاطم) نجم المقالة المسموعة

يوسف العاني

من الشخصيات الأدبية والاجتماعية والسياسية الحبيبة إلى الناس جميعاً وعلى مختلف مستوياتهم.. والتي ظلت في القلب والبال والروح.. شمران الياسري، والذي صار اسمه على كل لسان.. (أبو كاطم) لم يكن كاتباً ولا متحدثاً إذاعياً فحسب بل كان في تقديري حالة متميزة..

وظاهرة شاعت في مسار حياة الشعب العراقي، عبر كل موقف يمس معاناتهم سلباً أو إيجاباً فترى وتسمع كلمات ذاك الريف البسيط المشحون أمانة وإحساساً وشرفاً وكرامة لاتقبل أن يقترب السوء أو الجور أو الظلم منها، كلمات كالنار.. بل تسمع أحياناً إيقاعها فينتفض لحنا بلا كلمات لكنه في الأصل كلمات تتجمع وفق سياق غير تقليدي ليتراكم معنى ينفذ إلى الهدف فتتفتح عبره الآذان والعيون من خلال الكلمات مكتوبة أو مسموعة. شمران.. جاءنا محملاً بحماسة نظيفة كريمة كالعنبر وادعة كرقعة الملائكة شامخة كنيل البطولة..

ولم يكن مدعياً ولا متباهياً.. بل إنسان يسير مع السائرين في درب كفاح الشرفاء الباسلين بلا طلب لجاه أو موقع أو (عوض) مادي..

عاش كالآخرين وراح من دون أن يدري- كما سبقه عباقره عراقيون في ميدان مخاطبة الناس بالقلم المقروء أولاً.. بالقلم المسموع ثانياً حيث دخل (ستوديو الإذاعة) ليكون حديثه ليس حديثاً بل ضربات تؤذي ولا تؤذي توقظ ولا تخدش إلا أصحاب الشر والعابثين بقوت ومصائر الناس ومواقعهم الشريفة، بشر يحيا بسعادة وراحة بال وكرامة.

وترسم- أي الكلمات- صوراً مضيئة في النفس كي لاتتكسد الظلمة ويتيه إنساننا العراقي الكادح والنبيل في دياجيرها ليستلب ويفنى..

شمران- الذي صار (أبو كاطع) قلت صار واحداً مثل آخرين سبقوه- حيزبوز والملا عبود الكرخي.. وخالد الدرة.. ثم وجد أنموذجاً سبقه في حدة القلم وشدة الكلمة وعميق التأثير في النفس- أبو سعيد- عبد الجبار وهبي المناضل والكاتب الكبير.

كما هؤلاء.. كان.. وكما كان قبله الفنان العراقي المبدع الذي لم يكن له نظير في مجاله، عزيز علي.. كان عزيز علي يقدم المونولوج.. لكنه لا يسميه (غناء) كان اسمه. المقالة الملحنة.. فكلماته ليست للتطريب وللمداعبة المائعة..

أبو كاطع كان يقرأ كلماته المكتوبة وكأنها فن مسموع يحمل لحنه وإيقاعه.. فما يقدمه كان (مقالة مسموعة) أثرها يقترب بل يمتزج بتأثير مقالات عزيز علي الملحنة.. ومقالات أبي سعيد الصارخة بهدوء، والمتلاعبة بعمق في النفس كبرناردشو.. الذين فتحو أبواب المعرفة بالحالة الإنسانية قبله كل على قدر من الجدارة والأسلوب المتميز.. (أبو كاطع) كان. وأقول على مسؤوليتي.. نموذج الزمن الذي عاشه.. بل سبقه بوعيه الثاقب.

ليرسم ماسيكون..

كنا نهرع يوم كل أربعاء لنجلس أمام الراديو نستمتع إلى (عزيز علي).. كان الناس يهرعون قرب -الراديو- ليستمعوا إلى (أبو كاطع) يضحكون..

وينصتون.. ويضربون يداً بيد.. وينهضون وقد شحنتهم أبو كاطع بمثل خيرة وبحالة من وعي مضاف بماهم فيه.. وكان تأثيره وجهاً من وجوه المسرح السياسي الذي نعرفه. كان معنا في فرقة المسرح الحديث. عضواً فاعلاً فيها لا ممثلاً ولا مخرجاً.. لكنه كان مشاركاً في كل ماتقدم.. وكان مشاركاً في أعمال إذاعية.. تكتب للفلاحين أو البسطاء..

ظل شمران صديقاً حميماً مثل قالب الثلج في تموز..

وكنت أشتاق إليه إذا غاب.. وحين غادر العراق وفرقنا.. وافترقنا كل في مكان.. كان مكانه في القلب وأثره في الكثير الكثير مما نكتب أو نستذكر فشمران.. و(أبو كاطع) الكبير نجم فن (المقالة المقروءة) عند أبناء الشعب على مختلف

مستوياتهم وظل حتى اليوم- حالة نادرة- نرجو ان يحتذي له هذا الجيل فهو بحق  
أستاذ ومدرسة وإن أنسى فلن أنسى تلك (الهوسة) التي قاد بها مسيرة الفرقة بعد  
ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ومعه عبدالمنعم محمد علي وعبدالأمير العبود حيث وصفنا  
المسرح وأعطيناه التعريف التالي:  
المسرح مكتب كل الوادم تدرس بيه!



## فلاح من زمن التوهج

فائق بطي

فلاح بسيط خسره الفلاحون قبيل ثورة ١٤ تموز، وكسبه المثقفون بعد الثورة. يضيع، فتجده متنقلا بين آلاف الكادحين في أرياف الكوت، يدعو ويحرض وينظم تلك الجموع. يعلو صوته وهو ينادي: إنكم أمراء أرضنا المعطاء، لا (الإقطاعيون والسراكيل والأفندية).

لا تخفي شخصيته صورته، إنه فلاح ابن فلاح بسحنته التي أحرقتها الشمس، عوده ينم عن طينة مجبولة بتراب الأرض التي عشقها هو وكل الفلاحين في العراق. بكاه المعدمون في أرياف الكوت، وهو يشد الرحال إلى المدينة الكبيرة، بغداد تناديه بعد انتصار ثورة ١٤ تموز، ١٩٥٨. قلة من الأصدقاء في العاصمة الشائرة قالت، جاءنا أبو كاطع.

ومن وراء مذياع هنا بغداد، انطلق صوته بلكنة أهل الجنوب، وهو يجيب المذيع حافظ القبباني على طلبه: (احييها بصراحة يا أبو كاطع) فخرجت كلماته جهورية بسيطة ولكنها قوية مدوية، عشقها كل من استمع إليها منذ (الحجاية الأولى)، وباتت تلك الحكايات، من روائع أدب الريف في سجل الثقافة الوطنية العراقية بل العربية، في أثناء وبعد الثورة بسنوات وسنوات. (أبو كاطع)..

كنت في مكتبي بجريدة (البلاد) أتصفح جرائد الصباح، عندما دلف إليها أفندي بهندامه، فلاح بلامحه، ويشنبه الكث، فظننته للوهلة الأولى أنه مراجع جاء يتظلم، ومد يده وهو يكشف هويته: أنا شمران الياسري.

نظرت إليه وأنا أبحث عن هوية وراء الصورة، من يكون هذا الشمران؟  
قلت له لا صغرا بك، هل أستطيع أن أقدم لك أية خدمة؟  
ابتسم وهو يداعب شعيرات شنبه، أنا (أبوگاطع)!  
فنهضت إليه أضافحه بحرارة اللقاء، قائلاً: (لعد دحجيهها بصراحة من أول مرة!)  
ومنذ اليوم التالي: وجدت حكاياته عموداً يومياً في الجريدة يحمل العنوان  
والمضمون نفسه حتى يوم افتقدته شخصياً والآلاف من مستمعي الإذاعة وقرأء (البلاد)  
في غيبة امتدت فترة ليست بقصيرة بعد انتكاسة الثورة.

\*\*\*

ثلاث محطات جمعتنا بعد السجن:

الأولى: في ريف الكوت، حين تسلفت مع الشهيد صباح الدرة وماجد عبد الرضا  
إلى صريفته (ديوانه) خلال العمل السري المعارض لنظام العارفين، عبد السلام وعبد  
الرحمن، وهو يتحداني في الرماية من بندقية كانت مركونة على جدار الصريفة في  
الخارج، فنجحت مستغلاً خدمتي في الجيش كضابط احتياط سابق، بينما سقط  
الرفيقان في الامتحان، وأجاد هو في الرمي الكثيف، إلى أن قاطعه أحد الفرسان  
القادم إليه وهو يتخصر بمسدس والكلاشنكوف على كتفه، مترجلاً من على صهوة  
الفرس، ومقبلاً على تقبيل يده كغيره من الفلاحين الوافدين إلى بيته (وكره) وهو  
يسحبها بهدوء ويربت على كتفه، ويطبع القبلة الرفاقية على خد كل قادم .

سألت شمران: أرى الضيف يقبل يديك؟ فيجيب الشهيد الدرة: إنه من السادة.  
ألا ترى الراية الخضراء فوق باب الصريفة؟ وقال آخر: بل إنه حبيب الفلاحين.

المحطة الثانية: في مقر مجلة (الثقافة الجديدة) في الباب الشرقي مديراً لإدارتها  
بعد أن احتاجه الحزب، كما احتاج هو إليه، بعد انقلاب تموز ١٩٦٨، لإكمال مشروعه  
الكبير وطبع (رباعيته) الرائعة التي تعتبر من أنجح الروايات الغنية في مادتها وفي  
عبرها ودروسها على لسان شخصية (خلف الدواح) والتي أعيد طبعها مرات عديدة  
وما يزال الطلب عليها يزداد ويزداد حتى يومنا هذا. وكان (أبوگاطع) قد افتتح  
ميزانية طبع الرباعية غير المكتملة في تلك الأيام، بالاشتراك سلفاً في سعر بيعها

لاحقاً، وهو أسلوب لم يبدع فيه غير شمران الياسري.. الفلاح المثقف القادم إلى المدينة المزدحمة بالمشقفين المبدعين، ليكون بحق، أحد أولئك الرائعين الذين أغنوا الثقافة الوطنية بنتاجاتهم الرائدة على مر الأجيال.

المحطة الثالثة: كانت في جريدتي (التآخي) ١٩٧٠-١٩٧١، و(طريق الشعب) منذ عام ١٩٧٣ ..

توليت سكرتارية تحرير جريدة (التآخي) بعد بيان ١١ آذار بفترة قصيرة، وطلبت من رئيس التحرير الشهيد دارا توفيق، ان استعين ببعض المهنيين والكتاب للالتحاق بالجريدة، وكان أبو كاطع أحدهم. لم يبخل الشهيد بالعطاء كما عهدته صديقا، فكان لي ما اردت، وعاد شمران إلى عموده المحبب (بصراحة) وبالمضمون الشعبي نفسه وحوارات خلف الدواح، ليضيف إلى سجله الإبداعي روائع أخرى أجمل وأقوى. وعندما انتقلنا إلى (طريق الشعب)، ازدادت صراحته سهاماً قاتلة ضد كل من أراد إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، محذراً ومنذراً من أخطار الانزلاق وراء سياسات القمع والإرهاب الجديدين وتباشير الردة في أجواء (التحالف) تلوح في وضوح النهار ناهيك عن ظلام الغدر والفتك (بالحلفاء) الجارية في الخفاء والسر.

كان (أبو كاطع) يبكر في القدوم إلى الجريدة، وما إن يأخذ مكانه المعتاد في غرفة يتقاسمها مع عبد الرزاق الناصري وزهير الجزائري، حتى يخرج (المسدس) الذي نتسلح به جميعاً وفق إجازات حمل ممنوحة لنا من قبل (الحلفاء) خوفاً علينا ودفاعاً عن أنفسنا من (الأعداء).. يخرج من محفظته الجوالة في ترحاله داخل بغداد لا في الأرياف، وهو يدمدم مع نفسه: هو احنا وجه مسدسات او سلاح؟ فجاءه الجواب يوماً بعد سلسلة من الرفض لعموده اللاذع والشديد من قبل مسؤولي الجريدة حفاظاً على (التحالف)، أترك العراق يا رفيق، فإن الخطر قادم إليك!

ثم غاب شمران الياسري خارج الوطن، فخسرت الصحافة، كما خسره الأصدقاء ومحبو صراحته التي امتدت إلى أكثر من خمسة وعشرين عاماً في أكثر من جريدة ووسيلة إعلامية.

\*\*\*

التقيته مرة أخرى بعد أن أودعوه في المنفى قسراً في مدينة براغ مطلع عام ١٩٧٩ وكنت بصحبة جلال الماشطة قادمين من موسكو، فاصطحبنا إلى صومعته وهي عبارة عن غرفة صغيرة بملحقاتها، حيث يقضي أغلب أوقاته في إعداد رواية جديدة تكمل ما سبق أن بدأه في الرباعية، إلى جانب مراجعة العديد من حكاياته عبر مراحلها المهمة بأمل تضمينها في كتاب يؤرخ أحداث وسنوات أسوأ ما مر به الشعب العراقي بعد فرحة تموز والجمهورية، والذي آمل أن تقوم مؤسسة المدى بطبعها في جزئين تليداً لهذا الفلاح المثقف المبدع، وإنصافاً للتاريخ الذي يحاولون تشويهه مراراً وتكراراً.

كانت لقاءات جميلة ولو أنها لأيام معدودة، أعادت لنا ذكريات مهنة (البحث عن الحقائق) لا البحث عن المتاعب كما يقال، وهو لم يزل يبحث عما يريده من الحقائق، ويطمن (وجدانه) بعيداً عن الوطن الذي يعبده، والشعب الذي يعشقه، وحين كنا جالسين في شقة الصديق مجيد الراضي، وثورة الخميني في ذروة تصاعدها، حاولنا أن نخفف من اندفاعاته وحماسته انتصاراً لها، لعلنا قد نخذل بحساباتنا غير المتوقعة، فيجيب: اهو.. عود نقول اخطأنا. قابل هي اول مرة نقع بالخطأ!

وقر الأيام وتكر، وإذا بنبا الفاجعة يهزنا جميعا..

شمران الياسري في قمة عطائه، يهوي.

أبو كاطع يتعرض إلى حادث مؤسف بين صوفيا وبراغ.

هل نصدق ما قيل حول الحادث؟

هل مات أبو كاطع، وهل تغيب صراحة حكاياته المميزة؟

أنودع أبا جبران ونحن مشغولون في ديار الغربة؟

لكنها الحقيقة المؤلمة والمفجعة..

وهكذا كتب على العراق أن يفقد ثلاثة أعمدة من مبدعيه:

إنهم من رواد كتاب العمود الصحفي في تاريخ الصحافة.

إنهم شهداء الصحافة:

أبو سعيد - عبد الجبار وهبي، في عموده بجريدة (اتحاد الشعب) سقط شهيداً في زنزانة انقلاب شباط الأسود.

(أبوگاطع) - شمران الیاسری، فی عموده بصحف البلاد والتاخي وطريق الشعب،  
یهوي شهیداً فی الطريق العام بین صوفیا وبراع.  
أبو علی - رشدي العامل، فی نصف عموده بجريدة التآخي فی أواخر ستینیات  
القرن المنصرم، والذي کاد أن یفقد حیاته فی قصر النهایة..  
ثلاثة غابوا عنا ولكنهم خالدون فی ذاكرتنا ووجداننا.



## ظاهرة أدبية ساخرة

د. علي ثويني

نلمس في المشهد الثقافي ظواهر (عنقاوية) برزت من بين ركام ومخلفات الدمار البعثي في صلب الثقافة العراقية، يمثلها رهط يعيد للذكرى اسم المرحوم شمران الياسري، الذي قضى بحادث مرور مريب، بعد أن نفي إلى جيکوسلوفاكيا من قبل سلطة البعث ورفاقه الشيوعيين، حيث كان يمثل مدرسة أدبية تستلهم الهاجس الشعبي التراثي وتسقطها على واقع قلق ينذر بكارث أتت تباعاً.

كان (أبوگاطع) (هكذا كان يكنى)، يكتب في جريدة الشيوعيين (طريق الشعب)، وكنا شباباً نتلهف لقراءتها لوالدينا، بما كانت قنطرة معلوماتيه تجانس بين عقليتنا وإدراكنا وانفتاحنا وعقليتهم المتواضعة. لقد استغل معرفته ببواطن العقلية العراقية الفلاحية الجنوبية وأستعمل شخصية (خلف الدواح) وجملة مفردات من منسي حياتهم، أو متناساها حينما استعيب عليهم أن يطرقوه في ثقافة المدينة المتبغدة، لإيصال رسائله المباشرة إلى مداركهم. والأنكى في تلك الظاهرة أنها أرقت وأقضت مضجع البعثيين، الذين ضاقوا به ذرعا، فشكوه لرفاقه (الحلفاء) وقيادته النائمة في عسل (الجبهة) وأضوائها، فاضطروا إلى افتعال حصوله على بعثة دراسية في جيکوسلوفاكيا، فذهب ولم يعد.

لقد حذر الياسري من مغبة الثقة بذئاب البعثيين، وكرر مقولة (الذيب ذيب حتى لو غطيته بالحليب)، فقد كان حاضراً في ذهنه مذابح العراقيين من الشيوعيين وغيرهم بعيد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وطرق بحكمة ولبابه، بأن لظاها لا يمكن أن يكون عابراً

بل متأصلاً وممكن التكرار، وأمست نبوءته بمحلها، فقد اغتصبت البلاد والعباد ونهب مستقبله، واستحوذ على الرقاب واغتصب حرائر العراق في قبوات الأمن، ولا سيما الشيوعيات، وعلى فوق صوت استغاثاتهن صوت أغنية (شيلي قر بالليل نجمه بسمانه) شعر النعماني وتلحين جعفر حسن، بعدما أعلن رفاقهن الحمر على الملئ، بأن شيلي ونيكاراغوا أهم من نواح الشكالي وبكاء الوطن واستغاثة المغتصبات، و حاكوا دجل البعثيين حينما أمست لديهم فلسطين والصومال وموريتانيا أهم من العراق والعراقيين.

لم يكن الأدب الهزلي الغامز جديداً في طريقه، فقد سبقته محاولات منذ نشوء أول نشاط نشري عراقي منذ نهاية العشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، كما هي جريدة حبزبوز وغيرها. وأطلعنا عليها في طفولتنا في الستينيات من خلال مجلتي (الفكاهة) و(المتفرج)، حتى جاء البعث فمنع التوجهات والمبادرات الشعبية، وأحل محلها برامج مقولبة وخطاب (شمولي) يراد منه أهداف محددة. وكان (أبو كاطع) استثناءً أملتته تنازلات البعثيين في حقبة بناء سلطتهم. ونجد اليوم بقايا من تلك المدرسة الساخرة مأكثة في كتابات خالد القشطيني، التي تهاجنت في غربتها الطويلة مع الأدب الإنكليزي الساخر، فأثرت ملكاتها، وهذبت توجهاتها.

وهنا نرصد أن الكاتب الساخر يلجأ إلى الرمزية العالية الحذرة و المنمقة واللماحة، بحيث يمكن أن تفسر وتؤول بحسب السجاياء والطبقات الذهنية، مثلما هي (فلسفة بيدبا) في كليلة ودمنة. والرمزية هنا أسلوب يلجأ إليه الفنان والأديب لإخفاء ما يخاف أن يعلن ويفصح عنه، وهي (باطنية) إبداعية، لها الفضل في تحريك المدارك وتشغيل الذهن، وتتداعى إلى تهوية مكبوت النفس.

لم يكن شمران الياسري مطلعاً على حركة الفكر العالمي والعلوم الحديثة، فكتب بأفق حزبي وكان هاجسه وخشيته أيديولوجيه ولجأت الكثير من حرية فكره. بيد أن الجيل الجديد من الساخرين، فإنهم غير (مؤدلجين)، ثم حدث أن اطلعوا وقرأوا وتوسعت مداركهم وجلهم له اختصاص علمي أكسبه المنطق والعمق. فها هو وجيه يحلل بمعطيات الفلسفة في البنوية والتفكيك، و (شلش) ينقلنا إلى خيالات

وفنطازيات تنم عن اطلاع واسع أفق، يسقطها على واقع ضيق لمجتمع مدينة (الثورة) البغدادي، القابع على هامش التاريخ والجغرافية والمجتمع، والبعيد عن فذلكة الباحثين والمنظرين النفسيين والاجتماعيين حتى لتوحي و تشجع بعضها بأن تستلهم أو توظف في أعمال درامية في المسرح والسينما أو توسع حيثياتها ومقياس رسمها لتكون مادة روائية دسمة .

وأجزم هنا أن لو انبرى أحد (أصحاب البرج العاجي)، وجدّ واجتهد محاكياً ما قام به (حنا بطاطو) لتحليل معطيات المجتمع العراقي، لقادته أقدامه واستند في بحوثه إلى معطيات (شلش) الذي نقل لنا ما لا يلمس، ويرى في نفوس تلك الشريحة التي تشكل ٩/١ (تسع) نفوس الأمة العراقية. إن إدراك اللوحات الاجتماعية موهبة تشبه التقاط الراديو للموجات غير المسموعة من البشر، كما هي لمحية المرحوم (علي الوردي) في لمحاته.

وهنا يجدر تلمس أن ذلك الرهط من الأدباء يمت الصلة بخلفيات فلاحية (شرقاويه)، ازدرتها سلطة البعث ومن سبقها من الأعراب والأتراك، وأشاعت حالة من الاستنكاف حيالها، انعكس على حالة اشمئزاز منها. فحينما يقول (شرقاوي) كأنك تذكر (منبوذي الهند) وكأن هؤلاء قدموا من المريخ، فابتلى بهم العراق. ونعلم جميعاً ما روج له العروبيون بأنهم قدموا مع جواميسهم من الهند، قفزا على سومر وأكد وبابل.

وقد سعى مثقفو (الشراقوه) بأن يثبتوا الجدارة ويدحضوا ذلك المسخ، ويشقوا طريقهم ليرتقوا بكفاءة المنزلة الاجتماعية التي تبقى ديدن البشر، عابرين على قنطرة مواهبهم وخيالهم ووسع مداركهم وهامش التحصيل العلمي الذي حصلوا عليه، والأهم في ذلك هو تقمصهم لروحين، وحملهم لثقافتين ربما متناقضتين، فأثرت الواحدة الأخرى، حتى أكسب تراكم وتداخل حيثياتها ثراء فوق ثراء تداعى إلى أن يشكلوا استثناءً إبداعياً يجتذب الباحثين عن العمق والبساطة في الطرح. وهكذا شكلوا اليوم العمود الفقري للثقافة والإبداع العراقي دون أدنى ريبه.

ويمكن أن يكون صعود نجم الأنترنت عاملاً مساعداً لظاهرة النقد الساخر الجديدة، متناغماً مع هامش الحرية المتاحة، التي لا يجدها الكاتب على الورق المطبوع في بغداد، حينما وضعت القيود وحدد هامش النقد من قبل القوى الظلامية (الطائفية والقومية) التي ورثت عقلية البعث. وهكذا فإن متنفس هؤلاء أتى من رئة أنترنيتية، كونهم راصدين، وملاحظين ومحللين للوضع السياسي الشائك، يوجهون له النقد اللاذع ولا سيما ظاهرة طفوح (الفقاعات السياسية) أفكار وممارسات وشخص، التي تحرسها وتروج لها مليشيات مسيرة ومرترقة .

وفي الجانب المادي، فإن هؤلاء المبدعين لا يسترزقون من إبداعهم ومواهبهم، لذا فهم يعانون الفاقة، و انعكس الأمر على حال جيوبهم بما لم يمنع جذوة المكارم ونداءات الضمير في دواخلهم و التقاطهم لهواجس العامة، وأمسى مسعاهم متنفس لبواطن الذات الحبلية بالهموم، ومقصدهم إسماع الصوت المدون. وهكذا تبوؤوا المكانة التي يستحقوها في حركة الفكر الاجتماعي، حينما تبع صدق في الوسائل وحسن في الغايات .

لقد مزج وجيه وشلش، وقبلهم المرحوم شمس الموسوي ورهطهم، الجدد بالهزل، موثقي بروح الدعابة الفلاحية وأخضر السجايا وعفوية وتلقائية يؤطرها عشق للناس البسطاء وإخلاص للإنسانية، مع لمحية بقراءة الدواخل المسترسلة من الثراء الثقافي الشعبي المتراكم، ومعلنين امتعاضاً من التهميش الاجتماعي. كل ذلك واشجوه وواءموه مع هموم المدينة وحالة التوجس وروح الغرور والنفاق ونفخيات وتجمّل وتبغدد يعلن عن فحوى سطوة الشكل على المضمون، التي تسير عقلية أهلها .

كل تلك الحبكة أنتجت أدبا جميلاً، يعيدنا إلى حركة فكرية تصاعدية أتت من صلب الثقافة العراقية، كانت قد توقفت على يد عفلق وطفلاح وصدام وعصابتهم.

وإذ ينتابني شعور حين أقرأ لوجيه أو شلش بأنهم ينقلون لي الصورة الحقيقية الصادقة للروح العراقية المرحمة المحبة للحياة والصابرة والباحثة عن الحقيقة والقافزة فوق بيئة نفسية تتداول وتتعامل باللوعة والشكوى والألم والملامة. وأجد أن كتابات هذا الرهط تقتنص الفرحة من الحزن وتستجلب الدعابة من الكآبة، وتبث الفرحة والتفاؤل في

النفوس التي أعيهاها الهم، وترسم الابتسامة في عالم عاهر يسكت على المهازل، يقوم  
ولا يقعد الدنيا على تفجيرات عمّان، يطبق أخرسا حينما يستباح الدم العراقي،  
ويغمز مؤيدا للتفخيخ البعثي - الأصولي داعياً إياه (مقاومة)، متشفيا بقتل الأبرياء  
من أهلنا ومتلذذا بمشاهد أشلائهم.



## من تحسّى مرقة السلطان ، أُحرقت شفتاه ولو بعد حين ( من أمثال العرب )

جمعة اللامي

احترق قلبي عندما بعث إلي إحسان الياسري، نجل الصديق الأديب والمناضل الراحل شمران الياسري، بنسخة من رواية والده: (قضية حمزة الخلف)، وعلبتين من حلوى. الحلوى أردنية، لا عراقية،

لكنها تذكرني بحلاوة المارة التي عند ألسنتنا جميعاً، حين يمر طيف شمران في ليالينا ونهاراتنا. لكن أن يتذكرني ابن شمران، ويهدي إليّ نسخة من هذه الرواية، أمر يذكرني بـ(أبو كاطع) مرات ومرات، ويعيد عليّ حكاية قديمة بدأت منذ مطالع ستينيات القرن الماضي، عندما وفد علينا "بعض الاوادم" من بغداد، وكان بينهم "أبو كاطع" رحمة الله عليه. كنا نقيم في منطقة (خلف السدة) والتي هي الآن ذاكرة (مدينة الثورة) أو (مدينة الصدر)، في منازل من القصب والبردي والطين وبعض الطابوق. من دون كهرباء، وبلا تمديدات مياه. ويوم أهدتنا المناضلة الوزيرة نزيهة الدليمي حنفيات المياه الصالحة للشرب لنروي بعض مناطق (خلف السدة) كان ذلك يوم عيد بكل ما في العيد من معنى وفرحة. بعد ذلك العيد، زارنا وفد (الأفندية)، كما كان أهلنا يدعون الذين يقيمون خارج (خلف السدة) وعندما استقبلناهم على الأرض، والطعام على الأرض، والجلوس على الأرض، كان شمران الياسري منسجماً مع الأرض، وكان معلّمي عبد الأحد المالح، الذي قتل غيلة في انقلاب، ١٩٦٣ يتصرف كما لو كان يتدرب على تمرين شاق، وهو فعلاً كان رجل الأخلاق العالية، والمهام الشاقة. وكانت حيرتنا كبيرة مع المحامية ماجي تلو، شقيقة الشهيد جورج تلو، لأن المرأة سافرة،

وملابسها ليست طويلة نوعاً ما ، وكان عليها أن تجلس لتتحدث إلى نسوة عراقيات لم يتعودن نزع عباآتهن ، عن السلام العالمي والاشتراكية وعبد الكريم قاسم . والاتحاد السوفييتي العظيم .. منذ ذلك اليوم ، تعرفت إلى شمران الياسري (أبوگاطع) الفلاح ، والمناضل ، والإنسان ، والكاتب ، إلى أن تفارقنا بعد ليلة صاحبة في حديقة "اتحاد الأدباء العراقيين" ضمت كلاً منه حسب الشيخ جعفر ، ياسين النصير ، صادق الصائغ ، وعبد الستار ناصر . أظن أن ذلك حدث في أحد أيام ربيع ، ١٩٧٨ وإذا أخطأت في تحديد تاريخ ذلك اليوم ، فالراحل شمران هو الذي أجدر من غيره بالاعتذار ، لأنه مات وحيداً مقهوراً في بلد شرقي ، ولحقت به أنا في بيروت ، ثم في دمشق ، وبعدهما في الشارقة ، وليس معي إلا ذاكرة لم يستطع أنصاف المناضلين مصادرتها . سوف تسقط حكومات ، وتحدث ثورات وانقلابات ، وتلتحم جبهات أو تنفرط ، وتغير أحزاب أسماءها ، ويستبدل أحدهم بلقب المناضل ، رسمياً أو مسمى : سيادة الوزير ، أو عطوفة النائب ، لكن شمران الياسري يبقى حاضراً في أذهان أجيال من العراقيين ، وفي دفاتر الثقافة الوطنية العراقية ، وفي ذاكرة (حكمة الشامي) و(غريب المتروك) . نعم . شمران يتعرض إلى إهمال من أقرب الناس إليه ، ولاسيما في عهد الديمقراطية التي منحها المحتلون لبعض رفاقه القدامى ، لكنه لا يمكن أن يقتلع من ذاكرتنا جميعاً ، نحن الفقراء الذين صارت عندنا قضية منذ رأيناه ، تماماً كما حدث مع (حمزة الخلف) .

misan@yahoo.com - sharjah

## شمران الياسري - (أبو غاطم) - وتفرد روايته العملاقة

كريم السماوي

تعقيباً على إطراء تقديم الرواية (الرباعية الشمرانية) وما كتبه نجل المؤلف (إحسان شمران الياسري) في طبعتها الثانية، وقد تكفلت بها دار الرواد المزدهرة وكذلك المقتطفات التي شهد لها النقاد، تنم عن الحاجة الماسة لهذا النوع الريادي الذي انفرد به المؤلف (شمران الياسري - أبو غاطم) شكلاً ومضموناً واستجلاءً واستنتاجاً عن طابع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي انتابت مجتمعنا العراقي في الريف على وجه الخصوص.

فالكاتب ترك هذا الفضاء مفتوح الأرجاء والآفاق. إذ لم يكن زمن كتابة هذه الرواية أواسط النصف الأول من العقد الستيني من القرن الماضي وما تلاها من سبعينياته لظهور هذه الرواية الرباعية إلى الوجود العلني في تداول واقتناء النشر الثقافي، رغم تداعيات وإرهاصات الحقب الدكتاتورية الحاكمة منذ الانقلاب الذي اغتال ثورة العراق، الوطنية التحررية في ١٤ تموز ١٩٥٨، ووخامة غيوم سحب الأنقلاب الاستبدادي الشباطي الهمجي والمتوحش العنيف عام ١٩٦٣ بويلات الضغائن المبيتة والتآمرية وإرثه السيئ ( . . . )، كل ذلك لم يشن كاتبها عن إصراره وهدفه دأب المثابرة، ورغم الصعوبات التي اعترضت وصولها إلى أيادي جمهور القراء، فبادروا إلى التضامن مع مؤلفها المرموق، و(اكتبوا) على اقتنائها قبيل البدء بطباعتها التي تحدت السلطات الإعلامية (الرسمية) آنذاك، وأعدارها الواهية والهزيلة التي تحجبها عنهم! لمعرفتهم بمكانة وصدق والتزام كاتبها ثقافياً وأخلاقياً بموقفه الثابت إزاء تلك السلطات التي تخشى إثارة النهوض الثوري للوعي الوطني والإنساني، كثافة وتركيزاً

على قضاياء التي تعتمر بها أذهان الشرائح المثقفة من فئات وطبقات مجتمعنا العراقي.. فالرواية، بهذا المعنى الهادف، أدت غرضها الذي سعى له المؤلف الراحل شمران الياسري - (أبوگاطع) - وإذ تكاد تلك الأجواء تنبئ عن عقلية السلطات المتخلفة والغاشمة في تعميم ثقافتها الشمولية (التوليتارية) والاستعلائية التي تستصغر شأن ومميزات الفئات الوسطى والمعدمة الكادحة من الطبقات الاجتماعية العراقية وروابطها الإنسانية المعروفة التي تعزز علاقاتها التقليدية بحكم أنماط عيشها وإنتاجها للخيرات المادية العميقة.

تحتفظ الرواية أيضاً بالأسلوب الفني الفريد، الذي مهر طابعه الجمالي والأدبي شمران الياسري بامتياز، وبعنصر التشويق لما يدعى بالواقعية الفنية لمتابعة القارئ أحداثها المترابطة في السرد والحبكة التي لا تفتقر إلى البلاغة المرموزة أو الملمغة في (الحسجة) الريفية التي ينتبه لها ويستوعبها القرويون في بيئتهم الجمعية، ولغة الواقع اليومي والحياتي، والمقرونة بالأمثال الشعبية والبداهة الحكيمة بينهم في الأدب الشعبي والفولكلوري الذي يدل على أصالة التواصل الإنساني بحذاقة وذكاء الثورية المباشرة دون أن يحتاج قائلها إلى المجاز المتكلف. والاستعارة، كما يحتاجه في اللغة الأدبية، الفصحى والأكاديمية التي تستوحىها المدارس الأدبية الأخرى.

إن المقطوعات الشعرية التي ضمنها المؤلف باللغة القروية الدارجة (المحكية) والمتعارف عليها، أعطت للمجتمع القروي، فطريته السليمة في التعبير عن خدجات الأحاسيس والهموم المشتركة التي يجمع عليها ويتعارف عليها القرويون وحدهم في قرى الفرات الأوسط والجنوب العراقي.

إن شظف العيش والفاقة والمللمات الوجدانية في العلاقات العاطفية هناك، يكتسب طابعه الروحي والأخلاقي عند القرويين البسطاء، وهذا عنصر مهم، وظفه الراحل شمران الياسري - أبوگاطع - وهو ابن بيئته الاجتماعية (القروية) ومركباتها في كل شخصية درامية، أعطاها الكاتب دوراً رئيسياً استثنائياً وليس ثانوياً. أما الشخصيات الثانوية فقد تكاملت بهم الرواية - الرباعية - في أحداثها الدراماتيكية.

فنحن كما وسنرى في الجزء الأول من الرواية "الزناد.. " طبيعة العلاقات المتضادة المصالح العشائرية، وبناء قيمها القبلية الموروثة في النزاعات العدوانية على الأرض

تارة وفي الموالاة والتحالف تارة أخرى درءاً لقانون (الشأر العشائري) والأعراف التقليدية السلبية التي يقررها نفوذ العشيرة الأقوى في أغلب الأحيان، وكذلك عبر بطون وأفخاذ العشيرة المتفرعة إلى أسر وعوائل.

(سعدون ابن مهلهل) شيخ عشائري، فرض امتياز به حصة الخمس من عوائد المحاصيل الزراعية وأسلاب غنائم النهب والغزو.. وما إن يستدعيه الحاكم الانكليزي في العاصمة.. ثم يمنحه رشوة ضخمة (١٠٠٠) ألف روية هندية. ينأى عن أتباعه وأقربائه من عشيرته التي يمثل وجاهتها لدى الحكام المحليين، فينحاز مع أعدائها متوافقاً مع مقتضيات مصلحته الشخصية التي استجدت، دون اهتمامه السابق بالمصالح الجماعية للعشيرة!

الرباعية: (الزناد، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ، فلوس أحمد) ورمزياتها الواقعية في الجزء الأول استعارات رمزية تفصح عن "الزناد.. " آلة قدح وأداة اشتعال (اندلاع) لهيب شرارتها بعد أن تتقد، تندلع السنة وأجنحة النار التي قد يضيق أو يتسع محيطها في المعنى الذهني العام، المتداول والمعروف.. لكنها، ليست كذلك في الرواية كما اظن.

فالآلة هذه، قد استعير بها عن "الصلبوخ الحجري" الذي يؤدي ذات المهمة، ولو بزم من أبطاً من عجلة الزناد الذي أثار انتشاره وقتذاك، ذهول وفضول وإعجاب القرويين، فاعتبروه منذ حصولهم على ابتكاره (العجيب) نوعاً من الترف الذي يحتفظ به (ارستقراطيهم) العشائريون ومشايخهم الأثرياء. ومن هذه الفكرة تولدت خديعة سعدون بن مهلهل ومفاجآته، القريبة من مفاجأة كروستوفر كولبس -مكتشف القارة الأمريكية- وخديعته للهنود الحمر الذين كانوا يجهلون سلق بيض الطيور ولا يكثرثون لوفرتهم المهملة بينهم، قدمه طعاماً لهم لإغرائهم بعد أن كادت تنفذ إطلاقات بارود أسطوله في رحلته الاستكشافية للقارة الجديدة، وتعامله مع سكانها الأصليين الذين كانوا يطاردون رتلهم (الأبيض) بالسهم والرمح والحجارة الجارحة السمجة.. يخدع الشيخ العشائري أصحابه القرويين لينال رضاهم ومودتهم الدائمة عن كرم الشيخ سعدون.. وكان قد أغرى الزناد قبول وتأيد ابن عشيرته القريب منه (خلف.. ) في الوقت الذي كان لا مجال فيه للملكية الخاصة في الأرض المزروعة إلا بقدر محاصصة

(الديمات) - أي المقاطعات الزراعية في حصصها المتوارثة عن الملكية الأبوية لأفراد العشيرة، حسب الأسر التي تستثمرها، بنوع من الاكتفاء الذاتي للاقتصاد الطبيعي. "الديم.. " أو "الديمات" وما تنتجه الأرض من الزروع الموسمية التي يعتمد إرواؤها على المطر في كثافة (الغلة) في كثافة الإنتاج ومحصوله الوافر، كالتي يعتمد إرواؤها على السيلح -سواقي مياه الأنهر والجداول والقنوات، إلا مؤخرأ.. بعد احتلال الإنكليز العراق، وهناك حادثة شهيرة سبقت اندلاع ثورة العشرين الخالدة، وهي وصول الجنرال الإنكليزي -طاويزند- للكويت القريبة من مدينة الحلي ومقتله الذي لم يشر إليه المؤلف بل أشار الى أحداث ثورة العشرين في الفرات الأوسط!

فالإنكليز وحكامهم المحليون وموظفهم والمستشارون الكبار، احتلوا وظائف الحكام الأتراك -العثمانيين- أولئك الذين كانوا (يجبون) يستحصلون الضرائب المتصاعدة دائماً من السكان، على عوائد الأرض من الزرع والرعي سواء أجدبت أم أخصبت تلك المقاطعات، فذاك لايعنيهم، إلا الثراء الفاحش من أقنان الأرض ومالكي النماء والمرعى في أي حين. لذا فهم (الأتراك) غير مسؤولين عن تصحر الأراضي القاحلة، أو فيضان الأنهر، وإغراق القرى والممتلكات للمجاميع البشرية في انتمائها العشائري، ونخبوياتها الأسرية من البطون والأفخاذ.

ولما انقلبت موازين الحكم التركي لصالح رجحان كفة الحكم الإنكليزي المباشر للبلاد، كان لقانون العشائر وتوزيع الأرض وتسوية ملكيتها على ما خلفه الأتراك من قوانين التملك للأراضي الممنوحة بالطابو للأفراد والأراضي الممنوحة (باللزمة) التابعة للدولة التي اصطلح تسميتها فيما بعد بالأراضي الأميرية ( . . . ) فقد كرس هذا القانون الملكية الخاصة غير المحدودة في الرقعة الجغرافية التي يستثمرها الزعماء العشائريون، اعتماداً على نفوذهم الأبوي كسلطة محلية (ذاتية) تنوب عن سلطة الدولة، في مجتمعهم العشائري فأعطى السلطة (حقاً قانونياً) وتشريعياً مقابل شراء ذلك النفوذ الأبوي المتوارث لأولئك الزعماء لقاء خدمتهم المصالح البريطانية في سيطرتها الحاكمة على التوازن الاجتماعي، وسكونية ما يقلق الإنكليز من اعتراضات أهالي البلاد ومنهم عشائر العراق على وجه الخصوص. وبعد أن لمس الإنكليز الخسارات والخذلان في اندلاع الثورة الشعبية والتأريخية في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠

فكلفتهم ما أثقل كواهلهم من نتائج الفشل الذريع في كسب ود سكان المدن والأرياف العراقية.

وإذا كانت (مكننة الريف العراقي) بالمضخة في شكلها ما بعد البدائي، لسقي الأراضي الزراعية، تنوب عن النواعير التي نصبها المزارعون الأوائل على مقربة من الأنهار الرئيسة والفرعية ومصببات المياه الجوفية والآبار لجملة أغراض والأهم منها تنظيم سقي السيح وتقنيته الاروائية، فإنها (المضخة) اكتسحت الملكيات الصغيرة لأراضي الديم وقد كان الزعيم العشائري وأفراد مشيخته لهم السلطة المطلقة كرئيس أقنان في حالة ولائه السابق للسلطة العثمانية (العائدة) التي كانت تبتزه وتبتزهم.. فإن ولائه للحكم الإنكليزي وقوانينه التي منحت ذلك الشيخ سلطة سياسية وتشريعية (قانونية) بالإضافة إلى نفوذه الأبوي على فلاحي وأبناء عشيرته، فزادت سلطاته ومركزيتها أن ينوب عن الحاكم الأجنبي الذي يجهل العلاقات العشائرية السائدة وفق الفهم الدقيق لحالاتها فذلك الحاكم لا يملك اليد الطولى عليهم كذراع الزعيم العشائري و(الشيخ) التي كفه تصفعهم باستعلاء الكبرياء السلطوي، فيلثمونها بذلة وخنوع وخضوع لسلطته العليا في العشيرة.

أحسب أن الكاتب الراحل عميق الغور في فهمه لطبيعة القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج، كقانون عام، يفرز خصوصية الأفراد والجماعات في الأرياف والمدن كدراسة مادية تاريخية اعتمد فيها فهمه واستيعابه لأطروحة فريدريك إنجلز وموضعتة في كتابه الثمين جدا (الأسرة والدولة والملكية الخاصة) في تحليلاته الغنية والجديدة بالبحث حول التطور الاجتماعي ببنائيه -الفوقي والتحتي- كعلاقة متبادلة ومتضادة بين الدولة والمجتمع وبلا انفكاك من ظواهر الصراع الطبقي واستغلال الملكية الخاصة للإنسان.

أدخل شمران الياسري -أبو غاطع- في روايته (الزناد) ليس إقحاماً لأسلوبه الأدبي، وإنما إذكاء لفكرة إغراء مخادعة سعدون ابن مهلهل، "خلفاً" الصديق والقريب منه في العمومة العشائرية، فيستلب أو يغتصب ابن مهلهل (ديمة الأرض) التي يستثمرها خلف.. !

"الزناد" -الهدية الرمزية الذي يباع في سوق المدينة مهد لتحالف جديد بين الأعداء القبليين في الأمس أي بين عشيرتي ابن مهلهل وابن طرفة.. وهما كذلك

أغراها أيضاً الحاكم الإنكليزي، وغيرهم من شيوخ وزعماء عشائر العرب والكرد في العراق، عندما قدم لهم المنح والرشاوى والامتيازات والتسهيلات في إرواء أراضي فلاحي عشيرتيهما: شريطة تنصيب المضخات، كانقلاب مفاجئ لعلاقات الإنتاج السائدة والتقليدية، يتناقض مع مصالح القوى المنتجة. فزج ذلك الانقلاب تلك العلاقات مجدداً بالصراعات الطبقيّة التي استحدثت بواكيرها في المجتمع الريفي (العشائري) منذ ذهاب سعدون بن مهلهل برفقة صلال بن طرفة للكوت ثم إلى بغداد، وكانا قد استعارا ثياباً وأخفافاً (نعلاً) من الأقربين لهما، ثم ذهبا معاً لمقابلة الحاكم الإنكليزي، ورجعا منه محملين بأثقال الهدايا والعطايا الرخيصة التي وزعاها على ذويهما وأصحابهما. فسعدون بن مهلهل مثلاً يقدم الزناد العجيب لخلف الذي دبر من (أحميد أبو لبينة) الراعي البخيل عشر روبيات هندية تكفله عن غائلة الحاجة والعوز في سفره إلى متصرفية الكوت.

في الجزء الثاني من الرباعية الشمرانية المعنون (بلاوش دنيا) سلط الكاتب (أبوگاطم) الضوء على طبيعة التناقض بين الفرز والاستقطاب الطبقي بين أقطاب الزعامة الأسرية والمشیخة الفردية الأبوية وطغيانها على الجماعة العشائرية وأفرادها كمحور لصراع تناحري في علاقات الإنتاج وتضادها بين القوى المنتجة. وفيه نوع من الانسجام الغير عفوي، أي المصلحي والنفعي لطبيعة المصاهرات والتزاوج العشائري في قمتين الانتساب القبائلي والقرايبي، الذي أكد عليه فريدريك إنجلز في بحثه القيم حول (الأسرة والدولة والملكية الخاصة) حتى يكاد استنتاجنا جازماً ومؤكداً لأهمية العامل الاقتصادي والطبقي بدوافعه المادية والمعنوية وكذلك الروحية الاعتقادية (الدينية) في التعاقدات الاجتماعية وعلاقاتها المتوارثة، وهكذا، ما تزال ملامح هذه العلاقات بارزة في المجتمعات الريفية والمدينية المنحدرة من الريف رغم اختلافات نمط الحياة الاجتماعية، الجزئية أو النسبية بينها.

الرباعية ومنذ (الزناد) ترصد الأجواء الثقافية ومجمل العادات التقليدية لروابط المجتمع القروي فارتباط هذا المجتمع بالأرض كأداة ووسيلة إنتاج في الاقتصاد الطبيعي الذي تحرر من بدائيته الأولية بعد الاستقرار الزراعي والمهني.. لكن القيم والمعايير والأعراف القبليّة والعشائرية لم تحرر عقلية هذا المجتمع. والدولة العراقية

(الملكية) الوليدة لم تحرر المجتمع العراقي منها، وإنما سعت إلى تخلفها الارستقراطي وترف النخب الحاكمة الوصولية من الزعامات والوجاهات العشائرية المعتمدة في موالاتها للحكومات المتعاقبة.

إن تجاوز أرياف المدن العراقية كان له أثر إيجابي في تمتين الروابط الاجتماعية وفي تطور الوعي الوطني التحرري بامتداد الانتماء السياسي (الحزبي) المعارض فانتقال ناصر بن حسين للعمل في سدة الكوت، وانطباعات عبيد المنتاز بعد سجنه سنوات إثر اقترافه جريمة قتل حرضه عليها شيخ عشيرته لقتل أحد أبناء رموز العشيرة.. ميز أوائل الرجال (المدنيين) المسجونين الذين رفضوا الانصياع لأوامر مدير سجن الكوت في أعمال السخرة والأحكام الشاقة المؤبدة!

أولئك الذين ميزهم عبيد المنتاز، على قتلهم -نالوا احترام وإعجاب السجناء الآخرين لحزبية أولئك القلة الذين يناضلون من أجل العدل والمساواة والحرية، وينبذون التخلف والفقر والإذلال واستغلال الإنسان للإنسان. أما ناصر بن حسين عامل سدة الكوت الذي أعجب به المهندس المشرف على العمل فقد صحبه معه إلى كركوك للعمل في آبار النفط هناك، فقد تبلور عند ناصر بن حسين الوعي الوطني الطبقي الثوري والثقافي (السري) المتحزب والمنظم، وقد اكتسب هناك مهابة العمل النقابي العمالي في مساهمته باضرابات گاورياغي الشهيرة أواسط أربعينيات القرن الماضي، وبعد استشهاد هذا المناضل في بطولة المعركة الطبقيّة الفاصلة مع الحكومة التي تساند شركة النفط الإنكليزية ضد العمال المضربين.. وبعد ذلك المخاض الذي اقترفته الحكومة الجائرة.. انتقلت أسرة ناصر بن حسين إلى العيش في بغداد تحت كنف ورعاية أخيه المناضل (ملا نعمة) للروح الأخير في انبلاج فجر ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨. ذلك الروح المتزامن بامتداد وسعة التنظيم المتحزب في عموم المدن العراقية وأطرافها ونواحيها وقراها. زعزع ثقة الفلاحين بالقيادات العشائرية والإقطاعية الموالية لنظام الحكم الملكي المباد.. وفي العهد الجمهوري وعلنية تأسيس الاتحادات والجمعيات والروابط المهنية والاجتماعية وجد الصلة المباشرة والغير مباشرة في تهيؤ الشعب العراقي لمناصرة وتأييد منجزات ثورة العهد الجمهوري الجديد.. فكان إعادة اصطفاف وفرز اجتماعي وطبقي لقوى النضال التحرري من ربة التسلط الإقطاعي المذل.



## أحييها بصراحة يا أبو غاطع

علي الخيام

من بين أكثر الكتاب "الشعبيين" شعبية، يبرز اسم شمران الياسري الكاتب والصحفي الشيوعي المعروف.

ولعل اقتران اسم شمران الياسري بـ(أبو غاطع) وبالعكس، اقتران لا يمكن فصله للتوقيع المتلازم بين الاسمين والعقد المبرم بينهما على مدى مئات المقالات وعدد غير قليل من السنين.

وقارئ شمران الياسري أو (أبو غاطع) يحسّ أول ما يحسّ بالقدرة الفنية العالية التي يدير بها دقة موضوعه والغنى المعرفي الشعبي الذي يتخلله.

ولا يكاد قارئ يصافح نظره اسم أبو غاطع حتى يهرع لقراءة موضوعه باحثاً عن المفردة الشعبية العميقة، أو المثل الشعبي الزاخر بالمعنى والمحفوظ في ذاكرة حية وعجيبة شديدة التنوع والثراء.

إن العودة إلى أمثال (أبو غاطع) واستشهاداته وتعليقاته وثقافته الشعبية تضع القارئ أمام قاموس لغوي قل نظيره وذخيرة تستدعي الحفاظ عليها قبل أن يتداركها النسيان، لأنها إيجاز لمحمولات اجتماعية وترميز لمواضع سياسية، وتكثيف لقصص شعبية طوتها الأيام، وأمسى أمر تداولها بعيداً عن الذاكرة اليومية للناس.

تستبطن كتابات شمران الياسري الرمز، وغالباً ما كان هذا الرمز سياسياً، فلقد كانت مهمة هذا الصحفي اللامع مهمة سياسية، نذر لها دمه وراهن عليها بكل جوارحه ولم ينفد زيتها حتى يوم وفاته وهو بعيد عن وطنه.

نعم.. كانت لديه القدرة العجيبة على استنهاض المثل الشعبي الملائم للحالة

الاجتماعية على الرغم مما كان يتضمنه أسلوبه من نكهة الهزء والسخرية، ثم نقلها في  
انعطافة مرنة نحو الوجد السياسي الذي كان يقض مضجعه.  
ولنا أن نتساءل هنا، هل كانت سخرية (أبوگاطع) المعبأة بالحزن والشكوى انعكاساً  
لموقف عام ينتمي إليه شمران الیاسري، كان على الدوام في محنة وطنية بين قوى  
حليفة ونصف حليفة وأخرى معادية؟  
كان شمران الیاسري كاتباً صحفياً ملتزماً وجد في الالتزام مهمة وطنية لا يدان  
عليها الكاتب كما يتراءى لغيره من الكتاب والنقاد، كما فهمه على أنه موقف  
إنساني من المجتمع والحياة وأنه لا يتنافى مع الإبداع حينما يكون هذا الأخير فناً.  
لنا في العودة إلى ذكرى شمران الیاسري، (أبوگاطع) عبرة تدخل على الدوام في  
خانة المسؤولية الوطنية للحفاظ على ذخيرة تعد ثروة شديدة الغنى.. شديدة الشر.

## بصراحة (أبو كاطع)

أحمد الياسري

شمران الياسري .. منو من قراء العراق خصوصا من النخب الثقافية والشعبية والسياسية ما يعرف هذا الاسم المرحوم (أبو كاطع) الرجل العراقي الجنوبي المثقف اللي أحدث ثورة فعلية في مجال النقد الثقافي الشعبي واللي كان من رواد الكتابة الشعبية الي استطاع ببساطة أسلوبه واستخدامه للمفردات الشعبية أن يحدث تحول في الذوق الثقافي العراقي واللي اتأثروا بأسلوبه الكثير من رواد هذا اللون في المجتمع العراقي وكان إنسان أديب ومثقف وسياسي وإعلامي وروائي خسرته المجتمع العراقي قبل لا تخسره الثقافة العراقية .. أبو كاطع الي كان عنده عمود في جريدة طريق الشعب رجل بسيط جداً افكاره يسارية يؤمن بنصرة الفقراء وكان ناقد لاذع للنظام الإقطاعي ولسياسة استغلال حقوق الإنسان وعدم الاكتراث بمصائر الفقراء لذلك كانت صراحته محبوبة رغم نقده القوي لأن كان يعزف على الورق بأوتار مشاعر المساكين والبسطاء من أبناء الشعب العراقي . تجربة شمران الياسري أتناولها الكثير من الكتاب والمفكرين العراقيين وأغلبهم عدوه رائداً من رواد الحركة الفكرية العراقية ومحدث في مجال الكتابة الصحفية والكثير أتصور أن (أبو كاطع) كان ملك للحزب الشيوعي نتيجة إيمانه بالفكر اليساري وانتمائه لكوادر هذا الحزب ولكن نحجي بصراحة .. أبو كاطع جان ملك لكل إنسان عراقي رفض الإرهاب الفكري، وكان صوت كل مظلوم معارض للقمع والدكتاتورية ودفع أبو كاطع حياته ثمن دعوته للحرية لذلك واجب علينا ككتاب أن نشيد بدور هذا الإنسان الرائع الي قدم للعراق والعراقيين ونحترم تجربته الذاتية

ونحاول نظورها وقد علمت من أحد المثقفين العراقيين في العراق مؤخراً أن هناك مشروع مسلسل اتبنت دراسته إحدى شركات الإنتاج الدرامي العراقي لإنتاج مسلسل يحمل عنوان (بصراحة أبو غاطع) يتضمن هذا المشروع سيرة وأهم محطات حياة هذا الكاتب العراقي والإعلامي الشهير أبو غاطع) ما كان سلطان ولا رئيس جمهورية جان رجال مسكين من خلفية ريفية يرجع أصله إلى إحدى قرى مدينة الكوت الجنوبية وينتمي إلى عشيرة عراقية جنوبية وهم السادة آل ياسر إلى يرجع نسبهم إلى زيد الشهيد ابن الإمام الحسين (ع)، عاش (أبو غاطع) معاناته الريفية الي ولدت عنده حالة من الرفض للظلم الي كان واقع على الإنسان الريفي من قبل الإقطاع ووسع دائرة رفضه لكل مظاهر الفساد والقوة في المجتمع العراقي الكثير شكك بقدرة (أبو غاطع) ببداية مشواره الصحفي وعدوه إنسان معيدي لا يقرة ولا يكتب وصعب ينافس الروس الثقافية الجانت محتلة بغداد ولكن (أبو غاطع) قلب السحر على الساحر وثورة الرفض الاجتماعية الي جانت بداخله حولها إلى ثورة رفض صحفية أيضاً من رفض يكتب بطريقة كلاسيكية واخترع أسلوب خاص بي حب الناس بالقراءة وخلاهم يسمعون أفكاره بتشوق ومحبة ومن أجبروه البعثيين على ترك العراق والسفر إلى أوروبا ترك (أبو غاطع) فراغ كبير في مجال الكتابة الصحفية ولوعة في قلوب محبيه من القراء والمستعمين إلى برنامجه الشهير .

صحيح ابو غاطع كان من أولاد عمومة والدي بس أني معلوماتي عن شخصية أبو كاطع الإنسان بسيطة جداً أولاً لصغر عمري ثانياً لأن هو ترك العراق وأني جنت زغير ومن اطلعت على نتاجاته من كبرت كنت اتمنى التقى بناس عاصروه عن قرب حتى أعرف صحيح هو كان إنسان بسيط وصريح لو هاي الأمور كانت في كتاباته وبرامجه فقط ؟ ومن التقيت بالصديق موفق ساوا بسدني عرفت أنه كان من الأصدقاء المقربين جداً للمرحوم شمران الياسري وعنده سلسلة من الذكريات عن هاي الشخصية وفد يوم حجالي أبو نرساي گال أني جنت أكتب مقالات بجريدة طريق الشعب وكان مقر الجريدة قريب إلى بيتنا في بغداد وكان المرحوم (أبو غاطع) يقيم بهذا المقر تقريبا بحيث تكول مضيف مال عشائر مو مكتب جريدة واحد طاب وواحد طالع وكان (أبو غاطع) إنسان ابن عشائر وعربي أصيل يفرح جداً من يزوره واحد ومن تكعد يمه تتفاجئ أن هذا

الإنسان هو نفسه الي كآلب الدنيا ومسوي ضجة لأن كان بسيط جدا - والكلام لأبو نرسي طبعاً - وكان على طول يتشاقة ويأيه وكأنه اخوه الزغير الى درجة كان يدخل بيتته من يجي اي ضيف وياخذ اي شي يشوفة قريب منه سواء جاي او شكر او اكل وكأنه بيتته وكان عنده مقوله دائماً يكول احنا العراقيين بيت واحد يا موفق وانتم اهلي فشلون واحد يستأذن من أهله ؟ وكان يسوي بي مقالب طريفه بحيث يلهيني بالسوالف وبالاخير يسوي نفسه يريد يكوم اكله وين رايح ابو كاطع يكول غير اغسل الماعين حتى اصبلك جاي اكله لا ميصير اني اغسلهم يكولي بالله عفيه انتة خوش زلمه كُوم اغسلهن بعد عمك .. يكول من ارواح اغسلهن اعرف انه كان متقصد يخليني اغسلهن بس ارجع مرتاح .. فأبو كاطع من خلال معاشرتي اله كان انسان غاية في البساطة والروعة والفقر والثقافة .

الكل اتحدث عن ثقافة هذا الرجل وصراحته بس محد اتحدث عن الاثر الي تركته صراحته والرعب الي سواه بكلوب الناس المرضى الي ترعبهم الصراحة ويشوفون ارواحهم اعلى وافضل من الناس وظلوا يحفرون لهذا الكاتب الى ان اخرجوه من العراق وتم تدبير اغتياله باوريا، صوت الحق المنصف دائماً يرعب اصحاب الضمائر الميتة ويعتقدون بغبائهم انهم يكدرن يغتالون الكلمة الحرة، الانسان الطارئ والفاشل دائماً شبح الفشل يلاحقة لذلك تشوف ثقته بنفسه مهزوزة ويس تحجيلك كلمه يظل يرجف ويتصور انك مثله هم راح ترجف لو تخاف بس القوافل دائماً تسير وما يهمها نباح الجلاب لو تبنيح من الصبح لليل .. الف رحمة الله على روحك يا (أبو كاطع) والحقيقة ما أحوجنا إلى صراحتك اليوم لأن ابتلينا بناس زايعتهم الكاع دمروا وراح يدمرون بلدنا .



## عن أولئك الذين باعوا

صالح حسين

ليس من السهل عليك، إذا كنت عربياً من بلاد الشام (فلسطينياً أم سورياً، لبنانياً، أم أردنياً)، أن تفهم هذا العراق الموجه والجميل، المدقع بالفقر، والفاحش بثرائه.

شمران الياسري (مخانيث) أميركا.

قبل أسابيع وبمناسبة ذكرى شهداء من المناضلين الشيوعيين العراقيين وقعت يدي على مقالة كتبت عام ١٩٨١ في بيروت كانت قد نشرت آنذاك في مجلة "الثقافة الجديدة" ونظراً لأهميتها ولاسيماً أنها تتعلق برائد شيوعي نذر نفسه لحزبه وشعبه، توجب علي نشرها من جديد بـ "حكايات فلاحية" اعتزازاً مني بهذا المناضل الذي عرفته وسمعت عنه الكثير أيام "الجبهة الوطنية" (١٩٧٣) أو قبلها. وكان هناك من أمثاله الكثير من بينهم الشهيد محسن عليوي - (أبو عليوي)، وتركبي الحاج صلال - (أبو قيس)، وكاظم الجاسم، وداخل حمود، و(محمد الخضر - أبو جلال/أبو شعّان) "عضو محلية واسط" عام ١٩٧٦، الذي استشهد على أثر مدامة - زرقة، بداية الثمانينيات في محافظ ديالى وغيرهم من المنسيين.

يحل مكانهم اليوم زمرة من المتخاذلين والعملاء الذين باعوا حزبهم وشعبهم إلى جهات أجنبية محتلة! أي جامع يجمع بين أولئك الأبطال وما نسمعه اليوم عن المرتدين وتحت سقف واحد هو "الحزب الشيوعي العراقي" أو عراق الاحتلال "الجديد"؟! "جريدة النداء" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي اللبناني الشقيق، ومجلة "فلسطين الثورة"

الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية، "الحرية" و"الشرق" و"السفير" اللبنانية، ومع عدة صحف ومجلات أخرى خست ذكرى الفقيه شمران الياسري (أبوگاطع) الكاتب والمعلق العراقي المرموق، بخواطر وأعمدة ومقالات تشيد بمساهماته النضالية لقضايا شعبه، في دعم قضية الشعب العربي الفلسطيني وكل القضايا العربية العادلة، ونعته حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" والإعلام الموحد الفلسطيني ووكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" واعتبروه شهيداً للثورة الفلسطينية وودعته صحيفة "فلسطين الثورة" بخبر جاء فيه: "... وكان الشهيد قد برز صحفياً لامعاً كان له حضور مؤثر في صحافة الحزب الشيوعي العراقي بعموده الصحفي المشهور بصراحة (أبوگاطع) الذي يتمتع بشعبية واسعة في العراق، لأسلوبه المتميز وروحه الانتقادية ودفاعه عن مصالح الجماهير الشعبية كما برز الشهيد روائياً بارعاً، أعطى لحياة الريف العراقي وكفاح الفلاحين الكادحين أبعاداً إنسانية عميقة، في رواية مكونة من أربعة أجزاء تابع فيها التطورات الاجتماعية العميقة في الريف والحياة الروحية لسكانه، وكما برز في الصحافة والرواية برز أيضاً مناضلاً صلباً جمع أفضل خصال المناضل المثابر في دفاعه عن مصالح الجماهير الشعبية وعن حقوق الأقليات والقوميات، ولاسيما حقوق الشعب الكردي العادلة في العراق التي سبق وسجن بسبب دفاعه عنها عام ١٩٦٢.

لقد جاء استشهاد (أبوگاطع) خسارة كبيرة لشعبه وحزبه ومحبيه وللصحافة العراقية والعربية التي فقدت به، صحفياً خدم الصحافة التقدمية طوال ٣٠ عاماً من عمره البالغ ٥٥ عاماً.

المجد للشهيد المناضل (أبوگاطع). الشهيد يودع شهيداً.

ولعلها مفارقة مؤلمة، مأساوية أن آخر ما نشر لأبي گاطع كان نعيه للشهيد الرفيق غازي فيصل "أبو داليا" الذي نشرته مجلة "الحرية" في عددها ١٩٨١/٨/٢٤ مع نعي مؤثر له، وهذا نص ما كتبه (أبوگاطع) وتعليق "الحرية": كان التأجيل أوجب...! في أيلول الأسود تطوع للاستشهاد، نيابة عنك، فلسطيني لا تعرفه بالوجه. وأمضيت ليلة بين جثث الشهداء والجرحى. عند هذا الحد توقفت عن سرد الأحداث. في السهرة الثانية، وتواعدنا على لقاء آخر لتدوين كل ما تعرفه عن أحداث أيلول ١٩٧٠. ولعل الحديث يستمد من عبرته "إذا ما اعتبرنا"! فلماذا عليك أن تؤجل الاستشهاد،

والفلسطينيون لا ييخلون، وسوف يتطوع فلسطيني آخر، للشهادة نيابة عنك. ما استكبرت عليك ولا استكثرت مجد الشهادة، إنما أردت استكمال حديثنا، ثم بوسعك، فيما بعد تسديد الدين الذي بذمتك، في أيلول "أبيض" آت لا ريب فيه.. أما اختيار تموز فلا وافقك عليه. لأن شروط الوفاء غير دقيقة، وأدوات التنفيذ مختلفة في مظهرها: كان الرصاص الملكي الهاشمي (المجيد) عربياً حتى النخاع.. وفي هذه المرة (١٩٨١) كما ترى، فالرصاص الصهيوني الإسرائيلي (الحقير) أميركياً حتى عروة العباءة ولبلة العقال المذهب.. حسنا، لنعد إلى استكمال حديثنا الذي ظل ناقصاً، كنت أظلمك، وبدأ الهجوم حالما نلتقي، مع أنني المتقاعس عن إتمام ما بدأناه.. وتضحك حتى الكركرة الحلوة وتقول: "حبيبي، اختار الوقت اللي يعجبك. أنا حاضر.. "الآن" يا حبيبي" يعجبني وصل ما انقطع. ونبدأ من ايلول ١٩٧٠ وصولاً الى تموز ١٩٨١.. هذا يعني "النبش" في عقد (عربي رديء) لسنين. قصرت فيه الهمم والسنة وأردية" الستر" بتناسب طردي مع ارتفاع أسعار النفط. يا حبيب، الأشياء التي تحدث في غير أوقاتها وفي غير أمكنتها تستوجب العجب.. وما حدث لك ولمئات.

ضحايا الغارة الأميركية الإسرائيلية على بيروت جاء في وقته. ولذا تراني غير متعجب ولا مدهوش. لأن هذه الطائرات قصفت بغداد قبل أسابيع. وكانت ال"واكس" العربية السعودية (المجيدة) هي التي توجهها فمرت بأمان وعادت بسلام. إذن فالأشياء تحدث في أوقاتها. وليسقط العجب! تتسلق الذاكرة حكايات عن بدايات العمل مع المقاتلين الفلسطينيين. الآن يزداد إعجابي، لأن المستهل كان تعداد أخطائك في العمل. ويتضاعف الإعجاب لأنك بدأت الحديث عن العمليات. بذكر الخوف الذي انتابك أول مرة.. ثم تضامنت بعد ذلك حتى بلغنا بالحديث مبيتك بين الجثث والجرحى في أيلول الأسود. قد تعجب أن يترحم المرء على ١٩٧٠ - كان ثمة وجه يتعرق خجلاً، أما اليوم فإن مخانيث النفط يخاف واحدهم أن يرفع عينه بوجه أميركا، حتى ولو، لعد نجوم العلم الأميركي، أعلم أنها لعبة ساذجة فمارسها لخداع النفس، حين نشتم ملوك النفط، لأن مستنقع ضمائرهم لا تتحرك "موجاته" حتى لو رميت فيه طائرات (اف ١٦) وأعرف أنني منساق في اللعبة، وأداري مزاج الجماهير

وكان الأجدى لي وللجميع أن نقولها صريحة بعد أن دفعنا للمطبعة كلمة "أبو غاطع" المؤثرة عن الشهيد (أبو داليا) وردنا خبر استشهاد كاتب الكلمة نفسه في حادث مؤسف.

وتاريخ استشهاد أبو غاطع صادف بالضبط مرور شهر كامل على الغارة الصهيونية على الفاكهاني واستشهاد (أبو داليا) ورفاقه.

والشاهد أبو غاطع أبرز الكوادر المناضلة في المجالين الجماهيري والثقافي في الحزب الشيوعي العراقي. فهو من أصول فلاحية كادحة، مارس الصحافة والكتابة والرواية الثقافية، كل ذلك في إطار حياة نضالية تجاوزت الثلاثين عاماً. وكان أبو غاطع يشغل في الفترة الأخيرة موقع سكرتير رابطة الكتاب والصحافيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين ويقيم في إحدى الدول الاشتراكية.

والكلمة المنشورة هنا قد تكون آخر ما نشر لفقيد الثقافة الثورية العراقية والعربية.

إن الحرية هي غاية للجماهير نفسها، لإزاحة مخانيث أميركا عن "سدة" الحكم، ولكن - يا غازي - "ليس كل ما يعرف يقال"! استعيد الآن صورة ما حدث في أيلول الأسود، كما كنت ترويهما وكل منهم يؤدي دوره بإتقان: فريق يذبح المقاومة الفلسطينية، وذاك الفريق أدى دور السياج حتى لا يفلت مقاتل من الذبح. وممرت اللعبة وما انتفعنا وما اعتبرنا، وما قلنا لماذا خلقت للإنسان الذاكرة؟. أنت تدري، للمقاتل قاموسه، وللمهزوم والخائن قاموسه وللمحايدين "اختياراتهم" من كل القواميس. وأريد أن أطرح عليهم جميعاً، ولسانهم "العربي" الفصيح، وكائنة ما كانت قواميسهم: ما اسم أولئك الذين زودوا ويزودون أميركا وإسرائيل بإمكانات الذبح والإذلال وهتك الأعراض.. لأمتهم؟! كان عليك أن تؤجل الاستشهاد - يا غازي - ما استكملنا حكاية أيلول الأسود بعد. وفيها فصل (طريف) لم يبحث بعد ولم تتناوله أقلام "النقاد". أطلت الحديث.

وأثقلت وكررت، لكن لا بأس في الإعادة إفادة. أحياناً، إذن فأكرر:

أنت تعرف أن الفلسطيني لا يبخل. بالتطوع للاستشهاد. إنهم يتطوعون للشهادة كل يوم نيابة عن أمة برمتها. إذا جاء مزاج المدقق وغربل كلماتي هذه سيخرج باستنتاج قريب من هذا: أن الحسد لغازي على استشهاد أكثر من الرثاء له.

فلسطين الثورة: شمران الياسري - أبو غاطع:

من لا يعرف خلف الدواح؟ الزميل حسن البطل عضو سكرتارية تحرير مجلة "فلسطين الثورة" كتب المقال المؤثر تحية لذكرى أبي غاطع في مجلة "فلسطين الثورة" الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٨/٢٤: ليس من السهل عليك، إذا كنت عربياً من بلاد الشام (فلسطينياً أم سورياً، لبنانياً، أم أردنياً) أن تفهم هذا العراق الموضع والجميل، المدقع بالفقر، الفاحش بشرائه. أما أنا فقد كانت نافذتي على عمق العراق، أهواره ونخيله، فلاحيه وعماله، أسطوره ومأساته وفجره القادم حتماً، نافذة صغيرة على الصفحة الأخيرة من جريدة "طريق الشعب" مكثفة جداً، مريرة جداً، متفائلة للغاية. تلك الزاوية التي اسمها "بصراحة أبو غاطع". عامان في الإعلام الفلسطيني في بغداد، لم أذهب إلى كردستان العراق، ولا شط العرب، ولكن "خلف الدواح" ذلك الفلاح المجرب والمحنك، كان يطل كل يوم من زاوية "بصراحة أبو غاطع" وكان يبدأ حكمته البليغة بعبارة "ذيق السنة"، فإذا بالسومريين والبابليين، الآشوريين والعرب والكلدان والكرديين وجميع قوميات العراق المتآخية تتحدث بلغة مفهومة جداً. كل شيء في العراق على السطح. وكل شيء كان في كتابات (أبو غاطع) يأخذك عمق هذا العراق الرهيب والحبيب، المتآلف والمتنافر. كيف يكشف رجل مشكلات شعبه، وكيف تتكشف آمال شعب في مناضل ثوري نبيل وبسيط وعملاق؟ لم يكن شمران الياسري صديقاً شخصياً، وحتى إنني لم أراه، ولم أعرف سيماء وجهه إلا بعد وفاته في براغ، كما لا أعرف أميل حبيبي إلا من خلال كتاباته، وكذلك غابرييل غارسيا ماركيز. ولكن في شمران الياسري (أبو غاطع) شيء فذ من هؤلاء الأفاضل. فلاح حقيقي، ومناضل أممي، صلب بقدر ما هو عراقي صميم. أعرف أن شعبه وحزبه ورفاقه ومحبيه قد خسروه. ولكنني أعتقد أن الصحافة العربية، بل الأدب العربي خسروا في وفاة "أبو غاطع" بما لا يقل عن خسارة حزبه ورفاقه ومحبيه. ذهبت إلى العراق في العام ١٩٧٨ وسألت مكتبة ومكتبات عن ذلك الكتاب الذي قرأت في العام ١٩٧٣ إنه سيصدر جامع مختارات من "بصراحة أبو غاطع". سألت بكل براءة.. وكان الجواب "ماكو.. ماكو" إلى أن فهمت.. عند ذلك لم أعد أنسى أن "أبو غاطع" هو شمران الياسري.. الخ! ولم أكن أعرف، شخصياً، ان شمران الياسري يعمل في الإعلام الفلسطيني. ولكن عندما نعتة "وفا" لم أستغرب قط.

وأخيراً، يقول زميل له، إن شمران الياسري احيا ندوة ادبية في "براغ" تسبقها الموسيقى وتليها قراءات من قصصه. وقف (أبو غاطع) وقال: "إن الذين جاؤوا متأخرين فاتهم سماع الموسيقى ولم يبق لهم إلا القصص". .. ذهب شمران وبقي أبو غاطع، وخلف الدواح يتكرر في ملايين الفلاحين الكادحين العراقيين والعرب" مرتبط الفرس: من بين ما قرأناه أعلاه كان: "آخر ما نشره فقيد الثقافة الثورية العراقية والعربية. الحرية غاية للجماهير لإزاحة مخانيث أميركا عن "سدة" الحكم. من واجب جميع رفاق شمران الياسري وكل المناضلين والناس الطيبين أن يخلدوه كباقي شهداء النضال. ولكن لا حاجة لنا بنفاق ودجل من يدعون تخليده من مخانيث أميركا في عراق اليوم

## شمرون الياسري

زهير الجزائري

كيف يمكن لساعة ونصف من الاستذكار أن تنصف اسماً شغل المسرح السياسي والإعلامي ما يزيد على خمسين سنة: في الصحافة والإذاعة والريف والتأليف ومعارك السياسة؟.. هذا السؤال استبق فعالية بيت المدى للثقافة والفنون يوم الجمعة الماضي حيث بدا الجمهور أنه يستذكر نفسه في شخص الأديب والإعلامي اللامع (أبو غاطع)، بحضور جمع غفير من المثقفين والأدباء والإعلاميين ضاقت بهم القاعة.

ادار حفل الاستذكار الشاعر ابراهيم الخياط، الذي سرد الكثير من وقائع حياة الفقيـد (أبو غاطع)، من خلال افتتاحه الحفل، وأثناء تقديمه المتحدثين في الاحتفال.

كان المتحدث الأول رفيقه السياسي والإعلامي عبد الرزاق الصافي الذي قال: إن هذا الرائد هو من أيام الوهج العراقي، هو الكاتب والمبدع والروائي والصحفي، إن فرادة (أبو غاطع) تأتي من كونه جدد الحديث العامي العراقي، ببناؤه بفلكلوره بإبداعه في الأدب العراقي، إن روايته التي سميت رباعية هي في الحقيقة تعد أول عمل أدبي من قلب الريف، وليس كما هو حال رواية -الأرض والماء التي كتبها - ذنون ايوب - وتلك الفرادة تأتي من هنا، ولست بناقـد أدبي حتى أقـيم هذه الرواية ولكن ما تفضل به الكاتب كان متعدد الأغراض، ليس فقط استعراض للوضع السياسي حتى ثورة تموز، وإنما كان إلى جانب ذلك فيها الكثير من اللمحات الذكية، رجل دين مشعوذ يطلق عليه تسمية سيد سراب - وهي استهانة به، وكذلك الحال بالنسبة لشخصية سلبية في الرواية يسميها - حميد أبو البينه - وهي استهانة أخرى كما اعتقد، لقد عاصرتـه عشر سنوات في الخمسينيات وأنا غادرت البلد في الستينيات و كنت معجباً به من خلال

الإذاعة أو جريدة اتحاد الشعب، وهو كان محرر ملحق الفلاحين وكان ملحقاً خاصاً يكتب بحرف كبير، ولكن الصحبة الحميمية الشديدة الكثيفة من عام ١٩٦٩ إلى وفاته، يوم فقدانه وهو في عز عطائه في مجلة الثقافة الجديدة كنا نلتقي يومياً وبعد ذلك كان في - الفكر الجديد - والأكثر من هذا كله حين تولى الركن اليومي في جريدة طريق الشعب لمدة خمس سنوات، يهمني في هذا المجال أن أضيف وأصح بعض المعلومات التي وردت في الملحق التي نشرته مؤسسة المدى من قبيل أن (أبو كاطع) كان فلاحاً ابن فلاح - ولكنه ليس فلاحاً، وإنما كان أبوه ملاكاً ولم أعلم أنه خضع لقانون الإصلاح الزراعي أم لا، وعلى سبيل النكتة إن الدكتور - رحيم عجينة - لما رأى أن (أبو كاطع) قد اشترى سيارة رينو ١١ قال له أنا دكتور منذ عشرين سنة ولم أقدر أن أشتري غير سيارة - فولكس واكن سكراب - فرد عليه ضاحكاً "منو كلك تشتغل طبيب انه صار لي عشرين سنة إقطاعي".

أبو كاطع المعروف عنه لا يمكن أن يكون غير ناقد - وفي قضية أخرى يقال إنه أبعد عن طريق الشعب إلى براغ وهذا غير صحيح، ولكنه بسبب نقده اللاذع كان موضع غضب البعثيين، وكانوا يتحدثون بهذه المسألة لدرجة أنهم لفقوا عليه دعوة يمكن أن يحصل منها على حكم الإعدام، لذلك ذهب أبو كاطع إلى براغ للتخفيف من هذه التهمة، وبعدها كلفت من قبل الحزب أن أقنع (أبو كاطع) بالرجوع إلى البلاد وبالفعل رجعنا معاً.

أعقب ذلك كلمة ألقاها بين الحاضرين الدكتور جمال العتايي نورد بعضاً مما جاء فيها: أتذكر جيداً ذلك اليوم الذي دخل فيه شمران بزيه القروي متلفعاً بعباءة ذات لون بني يعلو هامته عقال (حياوي) غليظ استقر على يشماغ يوحى لأول وهلة بانتمائه إلى ريف الغراف المنحدر من مقدم سدة الكوت، والمتجه صوب الجنوب، في هذا المكان ولد وعاش شمران، هنا عالمه الحقيقي وفردوسه وامتلاؤه من طينه ومائه نبتت قيمه الإنسانية وامتزجت أفكاره وأحلامه. ثم تحدث الشاعر ألفريد سمعان قائلاً: عند الحديث عن (أبو كاطع) نستحضر اللحظات الأكثر توهجاً في تاريخ العراق إنسانياً وسياسياً وإعلامياً، فقد كان الرجل فلاحاً طبيباً يفيض بالأصالة والصدق اللذين تشتهران بهما الشخصية الريفية العراقية، وفي ميدان السياسة كان سياسياً عقائدياً مؤمناً بوطنه وشعبه وشجاعاً مقارعاً لأدوات الظلم والاستبداد حيثما كانت.

وفي مداخلة للشاعر الإعلامي كاظم غيلان قال: ليس للعراق وشعبه سوى كواكب قليلة مضيئة في سمائه، وشمران الياسري كوكب شديد السطوع، فهو ساطع في طبيته وساطع ايضاً في إبداعه، ويعد من القلائل الذين كتبوا في فن شح فيه المتصدون لكتابته، ذلك الفن الصعب هو فن كتابة الرواية الريفية، إذ اعتاد الكتاب في القرن الماضي كتابة الرواية الشائعة آنذاك وهي الرواية التي تتناول المدينة وحياتها، فيما انبرى شمran الياسري لكتابة الفن الأصعب عند تصديه لكتابة حياة الريفيين. تلت ذلك كلمة القاها نجل الراحل احسان شمran الياسري بالقول: (شمran الياسري) قيمة وطنية كبيرة، وجزء مهم من موروث العراق الإبداعي الخالد، وجزءاً من ملح أرضه، فإن مبادرة المدى للاحتفاء به، هي جزء من الوفاء للراحل. ثم تحدث الناقد فاضل ثامر قائلاً: الراحل الروائي والإعلامي شمran الياسري اختار فضاءً مكانياً يتمحور كلياً داخل الريف العراقي. وهي حالة لم ينتبه لها الروائي العراقي سابقاً، وربما هناك استثناءات بسيطة لكنني أجزم بأن تجربة شمran في رباعيته الروائية لم تجد العناية المطلوبة من قبل النقاد العراقيين وبقيت على هامش تاريخ الرواية العراقية.



## من كعود إلحاً خلف الدوام

صباح علي الشاهر

كنا ننتظر بفارغ الصبر مجيء شمران للكوت، قاصداً أم عابر سبيل، ومن يعرف المرحوم (أبو كاطع) جيداً يعرف كم هو لطيف المعشر، سريع البديهة. أبو جبران كتلة من النشاط والذكاء المتقدم، ومستودع لا ينضب للنكات التي تلبس الحالة وتلبسها الحالة، وكأن هذه النكتة أو تلك، هذه الحكمة أو تلك، هذه الحكاية أو تلك قد فُصِّلَتْ لهذا المشهد أو هذا الموقع أو هذه الحالة. مع شمران الياسري ينسى المرء الزمن، أو أن الزمن يتوقف، وإذ ينطلق شمران بالحديث فإنه لا ينتهي. قطار شمران لا محطات له، يبطل الانتظار أن يكون انتظاراً عندما يتحدث شمران. حكاياته كحبات العنقود، ترتبط بعضها ببعض، وتستقل بعضها عن بعض. كنا قلة قليلة أولئك الذين يعرفون بمقدم (أبو كاطع) للكوت، وفي كل مرة نكون أبخل من البخل، فلا نخبر أحداً بمقدمه حتى نعتصر برتقالته عصراً، وكان هو يتواطأ معنا، ويرضى بمكر أن يتخلف ويمكث معنا حتى ولو كان الأمر لا يقبل التأخير. الحديث مع شمران الياسري متعة ما بعدها متعة. هذا الكوتاوي الأملعي نفحة مضمخة بعطر واسطي لا مثيل له.

ربطتني بشمران علاقة خاصة في نهاية الستينيات. كنا نلتقي في مجلة الثقافة الجديدة في الباب الشرقي، حيث كنت أتواعد أيضاً مع طيب الذكر الشهيد الرفيق الصديق محمد الخضري (أبو سلام). أعتقد أن شمران غطى بالإضافة لمهامه موقع الأخ الصديق الشاعر ألفريد سمعان (أبو شروق) بعد سفره لسوريا، كان رئيس تحرير المجلة وقتها الدكتور صلاح خالص، قبل أن ينفصل عن المجلة ويؤسس مجلته الخاصة التي أسماها (الثقافة)، ورغم كوني كنت ناشطاً في القسم الثقافي للثقافة الجديدة،

فقد ظلت علاقتي بصلاح خالص متينة، ونشرت في مجلته عدد من المقالات والقصص، منها على ما أتذكر قصة (إنه محجوب هذه المرة!). كتبتها على إثر إعدام عبد الخالق محجوب سكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني زمن نميري، وقتها كان الوضع في العراق ساخناً، والسلطة التي أتت بانقلاب أبيض أصبح لها أنياب قوية ومخالب حادة. كان (أبوگاطع) يقدم برنامجاً إذاعياً من إذاعة بغداد، يذكرني ببرنامج الذائع الصيت بعد ثورة الرابع عشر من تموز (حجاية أبو كاطع)، لكن هذا البرنامج لم يرتق إلى مستوى البرنامج السابق، وقد أبدل (أبوگاطع) شخصية كعود بشخصية خلف الدواح. لم تتحمل الديمقراطية الجديدة وقتها برنامج (أبوگاطع) رغم جماهيرته منقطعة النظير فألغته، وعاد (أبوگاطع) لقواعده سالماً.

لفترة ما اشتغل (أبوگاطع) محرراً في جريدة التآخي، لكن الحكيم الضاحك الناقل لحكمة الناس البسطاء الموروثة تأريخياً، فجّر قدراته على صفحات طريق الشعب، لقد قال لي مرّة الشاعر الشعبي المبدع شاكر السماوي، لقد عودنا (أبوگاطع) على قراءة الجريدة ليس من الصفحة الأولى كما هو معهود وإنما من الصفحة الأخيرة حيث عمود (أبوگاطع) اليومي، وفي الحق لم يكن أبو طلعت وحده الذي كان يقرأ الجريدة ابتداءً بصفحتها الأخيرة وإنما يمكن القول بكثير من الاطمئنان أن عدد الذين يقرؤون الجريدة ابتداءً من صفحتها الأخيرة كثير جداً.

من المفارقات غير المريحة لي شخصياً أن عمود (أبوگاطع) اليومي نُقل لأمر ما من الصفحة الأخيرة إلى إحدى الصفحات الداخلية، وقتها خرج العمود الذي كنت أكتبه مكان عمود (أبو كاطع)، وأتذكر أن عنوان مقال (أبوگاطع) في مكانه الجديد كان (صعدوك لو نزلوك؟! )، ولا أدري حتى هذه اللحظة هل كان هذا الأمر تصعيداً أم تنزيلاً، لكنني فيما بعد شعرت أن شمran أصبح ثقلاً على هيئة تحرير الجريدة بسبب من موقف الحلفاء منه، وبسبب نقده اللاذع الذي لم يعد بمقدور القادة تحمله.

كثير من الأشخاص يطوهم الزمن، يصبحون نسياً منسياً. تطردهم الذاكرة أو يهربوا منها، لكن شخصية (أبوگاطع) من تلك الشخصيات النادرة التي تعلق بالذاكرة. يصبح إبداعه لازماً لمن أدمنه، ويصبح شخصه لازماً لمن تعرّف عليه وعرفه.

هذه المرة لم يأت (أبوگاطع) للكوت زائراً أو في مهمة حزبية، وإنما جاءها لأمر آخر. لقد فُجعت الأسرة بفقد عميدها (عم شمران)، وقد قررت منظمة الحزب أن يمثلها في التعزية كل من الأخ فتاح طه (ممثل الحزب في الجبهة) والشهيد حميد ناصر الجلاوي وأنا، وعلى ما أتذكر الأخ محمد موزان. انحسرتنا نحن الأربعة في سيارة (أبو كاطع) العجوز المتهالكة، لا أتذكر تحديداً هل كانت لادا أم مسكوفج، ورغم أن المسافة بين الكوت ومشروع الدجيل حيث سينعقد مجلس العزاء على روح الفقيد ليست بالطويلة إلا أن سيارة (أبوگاطع) أبت إلا أن تقطع هذه المسافة بوقت أكثر بكثير مما يجب. كانت بين الفينة والأخرى تتعزز علينا فتتوقف فجأة، تماماً مثلما يفعل الحمار عندما يعاند ويرفض مواصلة المسير. فيعقب (أبوگاطع) (يا بعد عيني حارة مثل راس الرفاق الروس، تحمه بسرعة مثل حركة التحرر الوطني!).

في مجلس العزاء عرفت أن شخصية كعود لم تكن خيالية كما كنت أتصور. لقد كان كعود بشحمه ولحمه هناك، وقد تصنع الغضب لأن شمران تخلّى عنه، وأبدله بخلف الدواح، أتذكر أن (أبوگاطع) ضحك ضحكته المعهودة وقال: يا كعود لقد اختلفت المرحلة، مرحلتك يرحمها الله، ونحن الآن في مرحلة أخرى، مرحلة خلف الدواح، ولا أدري هل كان شمران جاداً أم هازلاً في كلامه، وهنا لا بد من الانتباه إلى أن (أبوگاطع) كان غالباً يغلف كلامه بسخرية مبطنة. بعضهم يتصور أن شمران في حديثه يخلط الجد بالهزل، لكنني أراه مثلما يراه الكثيرون الجاد الهازل، أو الهازل الجاد بامتياز، وما أجمل وأمتع هزله، وما أحد وأصدق جده !

كنت أسمع عن (أبو فهد) الشخصية الفلاحية، كانت هذه الشخصية من كثرة ما سمعت عن بطولاتها أشبه ما تكون شخصية مختلقة أو أسطورية، ولم يكن يخطر ببالي أن ألتقيها هنا في بستان من بساتين مشروع الدجيل. بعد أن امتلأ المجلس بالمعزين التفت إليّ (أبوگاطع)، وقال: هناك شخص يريد رؤيتك، سألته: من هو ؟ قال: شخص تسأل عنه كثيراً، وتود رؤيته، وهو يود رؤيتك أيضاً.

انسحبنا من المجلس جلسه في اتجاه البساتين، وهناك إلتقيت بالفارس، خيال الزرقة كما كانوا يسمونه، الكادر الفلاحي (أبو فهد)، وسيكون لنا حديث عن هذه الشخصية التي ملأت أخبارها في ستينيات القرن الماضي ريف واسط ونواحيها.

كثير ما تساءلت مع نفسي من أين يستمد (أبوگاطع) هذا الفيض الذي لا ينضب  
من الحكمة العبقريّة؟ لكنني الآن أعرف أن من يعيش وسط هؤلاء الناس، في ريف  
واسط العبقري لا بد وأن يكون مستودعاً للحكمة، إن واسط التي أنجبت شمran  
الياسري، لا بد وحتماً ستنجب (شمران) آخر، وبقينا سوف لن يطول انتظارنا.

## العدھا حبایب ... وانتھ موش غشیم

عبد الله السكوتي

هذه محادثة دارت بين صالح أبو البينه حارس غنم الشيوخ، وحمزة ابن خلف في رباعية الكبير شمران الیاسري، وفي جزئها الرابع (فلوس احمید)، فقد قال حمزة أما احمود بن شنين فقد استغل قرابته من الزعيم الجديد عوده الكبر ورحل إلى قرية مویلحة لیختار أجود الأراضي وعقب حمزة متوجها بالخطاب إلى صالح الذي حل ضيفا علیه والذي هرب بغنم الشيوخ إلى الهور وأتى لیری وجهة نظر الشيخ ضاري بشأنها، ولمعلوماتك (أبو مهیدي) (العدھا حبایب... . وانت موش غشیم) تدري وتعرف، ضحك صالح ابو البينه لأنه كان متوجسا من حمزة، وقد شعر بالأمان لبشاشته معه، وهو خائف لهروبه بغنم الشيوخ وسمع بمصادرة أراضي الشيخ سعدون بن مهلهل التي أورثها لضاري وأبيه فالح المقيم في بیروت، وهذا الهدف الأول التي حرصت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقيادة عبد الكريم قاسم على تحقيقه وهو إزالة النظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري والقضاء على الإقطاع وتشريع قانون الإصلاح الزراعي مع توزيع الأراضي على الفلاحين، بعدها انبسطت أساریر صالح أبو البينه وقال: (الله ينعل الشيطان .. والله حسبالي نسيت الضحج)، وكان یقهقه لأتفه دعاة یقولها حمزه، حيث كان یطمئن أبو البينه بین الحین والآخر أن الأمور هدأت والشيوخ استقروا بعض الشيء، لكن الأمر بیید عوده الكبر ولاندري متى یصاب بنوبة هياج .. . الله یستر من تالیها، وحين ذهب صالح إلى بیت ابن أخیه داوود استعلم إن كان ذهابه إلى قصر الشيوخ مجلبة للمتاعب أو القیل والقال، فاکد له داوود أن الشيوخ في طریقهم إلى استعادة مجدهم المثلوم، والفلاحين في حالة دفاع عن النفس والدائرة تضیق علیهم ومعلومات الشيخ

تقول إن الجمهورية محاصرة، وصالح يعلم أنه بين أمرين أحلاهما مر فقد استبدل خرفان الشيوخ الكبار بحملان صغار، وباع الكثير منها ووضع فرق السعر والسعر في جيبه ويعلم أن الشيخة كانت تعد وتحصي الغنم وكانت سعيدة في استعراضها أمامها في مناسبات عديدة بل تتعمد أن تضع الدراغات في رقاب الخراف، وهو بعد يخشى من سيطرة الفلاحين عليها، بعد أن سمع بمصادرة الأراضي ووضع رقابة دقيقة على حسابات الشيوخ في البنوك. لقد انصفت الثورة الفلاحين كأول شريحة مضطهدة بسبب الإقطاع وسياسة التجويع التي مورست بحق الشعب في العهد الملكي، وقد غلب مشروع الدستور العراقي الملكي السلطة التنفيذية وأضعف السلطة التشريعية والقضائية وحدد صلاحياتها في حين أن الديمقراطية آنذاك والتي يحاول بعضهم تجميل صورتها، كانت شكلية إذ تنظم قوائم النواب جميعاً من قبل رئيس الوزراء، كما جاء في كتاب (ثورة ١٤ تموز في العراق) لمؤلفه ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ويشترك مع رئيس الوزراء وزير الداخلية والبلاط ثم تبلغ إلى الموظفين الإداريين لتنفيذها، وقد أكد ذلك رئيس الوزراء في العهد الملكي نوري السعيد عندما جوبه بمعارضة مصطنعة داخل مجلس النواب، كان يحركها الوصي عبد الإله، حيث قال السعيد موجهًا كلامه إلى المعارضين: (هل في الإمكان أناشدكم الله، أن يخرج أحد نائباً مهما كانت منزلته في البلاد ومهما كانت خدماته في الدولة مالم تأت الحكومة وترشحه وأنا أراهن كل شخص يدعي بمركزه ووطنيته فليستقيل الآن ويخرج ونعيد الانتخابات ولا ندخله في قائمة الحكومة). ناهيك عن أن التكوين الاجتماعي لمجلس النواب كان مقتصرًا على الأعيان والوجهاء ولم يدخله أي نائب ينتمي إلى طبقتي العمال أو الفلاحين منذ تأسيسه عام ١٩٢٥ وحتى ١٤ تموز عام ١٩٥٨، وهذا دليل على أن الشعب لم ينتخب نوابه، أما بالنسبة للوزارات فقد بلغت ٥٩ وزارة كانت أطولها عمراً وزارة نوري السعيد الثالثة عشرة حيث ألفت في عام ٥٥ واستقالت عام ٥٧ مع ستة عشر مجلساً لم يستكمل منها دورته سوى واحد فقط، ناهيك عن وزارة المدفعي التي عمرت أحد عشر يوماً، وأخيراً فقد لعب صالح أبو البينة لعبته واشترى غنم الشيوخ وهو يخاطب فرسه في طريق العودة: اتدرين يافرسي الحبيبة كل الغنم صارت لي وحدي، لاشريك لي بعد اليوم لاتفريق ولا تميز كلها غنم صالح بن أحמיד... والنعم والثلث تنعام.. أبوك يامهيدي، بكذ اذراعه اليتعب يلعب.

## دار الرواد العراقية تتذكر شمران الياسري

حسن علي العتابي

علاقتي بشمران الياسري لم تتكوّن من صلات النسب والحسب، والأصل والفصل، وإنما انحدارنا الطبقي هو أساس علاقتنا. طرحت مجلة "الثقافة الجديدة" عام ١٩٧٢ فكرة لنشر رباعية الراحل شمران الياسري (أبوگاطع) من قبل المثقفين التقدميين وسواهم من القراء، بعد أن رفضت وزارة الثقافة آنذاك، لموقفها السلبي من المؤلف، تعضيدها ونشرها. فكنت واحداً من أولئك الذين أسهموا بدفع مبلغ كلفة الطبع والتصنيف مقدماً. بتنفيذ تلك الفكرة، صدرت الرواية بأجزائها الأربعة في العام ذاته. فكانت موضع إعجاب الأوساط الثقافية وثنائها. فعرضتها الصحافة وتناولها المثقفون بكتابات نقدية، أشاروا فيها إلى صور العلاقات الزراعية السائدة في الريف، في ظل النظام الإقطاعي البغيض، التي كان المؤلف بارعاً في تصويرها، وتجسيد أبعادها المأساوية وانعكاس تأثيرها على طبيعة حياة الفلاحين المعاشية وعلاقاتهم الاجتماعية، التي تحمل بين ثناياها ألواناً من الوقائع التاريخية، ودوافعها المتباينة. والمجاعات، والأوبئة، ومظاهر الحياة البدائية، أبرز تلك الأحداث، على سبيل المثال. فشل ثورة العشرين بتحقيق كامل أهدافها الوطنية الديمقراطية، وحرمان الفلاحين الذين كانوا جنودها من معطياتها المحدودة التي استأثر بها الإقطاع حتى الرابع عشر من يوليو/تموز عام ١٩٥٨، وطرز المؤلف الرواية بحكايات كثيرة، أشار فيها إلى تمردات الفلاحين وعصياناتهم وأحلامهم التي يحملونها بين جوانحهم للخلاص من سلطة "الشيوخ" وسيط أزمهم.

لم يكن المثقفون العراقيون وحدهم من تنافسوا في الكتابة حول الرباعية ذاتها وحسب، بل تناولتها الصحف اللبنانية التقديمية، بإعجاب لهذا العمل الروائي الكبير الذي ولد لأول مرة من أعماق الريف العراقي، لحمته وسداه، تجربة المؤلف، وعرضه الممتع ودقة تعبيره لواقع الحياة.

يومها وجدت في تفاصيل أجزاء الرواية الأربعة بعد قراءتها الوسط الذي عشت فيه يافعاً وفتى ومعلماً، وصديقاً للفلاحين وجمعياتهم، قاسمتهم زادهم، وأشكال معاناتهم حتى صرت مفتوناً بمحتواها، وبنائها الذي صاغه (أبوگاطع) وأبدع فيه، فكانت حكاية شعب نمت جذورها في عمق الريف.

في كتابة متواضعة عن الرواية، أشرت فيها إلى أن علاقتي بالراحل شمران الياسري لم تتكوّن من صلات في النسب والحسب، والأصل والفصل، وإنما كان انحدارنا الطبقي هو أساس علاقتنا، التي وثقت عراها مهنة "المتاعب" أيام جمعتنا تحت خيمة "طريق الشعب" و"الثقافة الجديدة" و"الفكر الجديد" .. حينذاك كتبت موضوعاً عن الرواية بعنوان "لمسات فنية، وأبعاد ثورية في لوحة بلابوش دنيا" نشرته جريدة التآخي في ١٩٧٢/١١/٢٥ وموضوعاً آخر بعنوان "رياح تموز المجيد في الريف" نشرته جريدة الراصد الأسبوعية بعددها ١٥٧ في ١٩٧٣/٢/١١ نال كلاهما استحسان المؤلف والقراء معاً.

واليوم، إذ أقدمت دار الرواد مشكورة على إعادة طبع الرباعية بعد خمس وثلاثين سنة على صدورها، إنما تعبر بذلك عن وفائها الصادق للمؤلف وحرصها على تخليد ذكراه العطرة، واعتزازاً بإرثه النضالي والثقافي.

ضمت هذه الطبعة نبذة عن حياة الراحل، ومقدمة كتبها فجله إحسان شمران الياسري كانت بأسلوبها الرشيق ملحاً لزاد أبيه.

## أدباء عراقيون (أبوغاطم): شمران الياصري ١٩٢٦-١٩٨١

ياسين النصير

لم تعد ذكرى شمران الياصري (أبوغاطم) مجرد ذكرى لأديب مات في الغربية، بعيدا عن أهله وأصدقائه وأرضه، فالموت في الغربية هذه الأيام من أكثر الأمور عادية في حياة الأدباء والمثقفين العراقيين. فهو موت للجسد وموت للذاكرة أيضاً.

كما حدث لمصطفى عبود ومصطفى عبد الله ومحسن اطيمش و للجواهري والبياتي وللفنانة زينب ولشريف الربيعي ولعزیز السماوي وغيرهم. كما هو موت لأدباء الداخل أيضاً ذلك النمط الذي لم تشهد مثله بلدان العالم هو أن يموت الأديب نتيجة نقص في الحرية والرأي والدواء.

بينما تصرف الملايين على ملذات وجرائم الثقافة في مهرجاناتها. الموت لكلا الطرفين قائم قبل أن يهاجروا عن أوطانهم أو أفكارهم. وما تبقى من حياتهم بعد الهجرة.

وموت الحرية ليس إلا مراوحة في السرير ذاته، بين أن يعالج وضعه بكبرياء المثقف الذي لم يبيع نفسه، وبين أن يعيد ترتيب ما تبقى له من أوراق بعد أن أهملها. وعندما يكون المثقف بين هذين الأمرين يأتي الزمن على بقيته المتعبة فيصادرها القبر والكفن.

هي أذن محنة الثقافة التي أراد زبانيتهها في العراق أن تتحول إلى ثروة مهمة ملغية ومتروكة على أرصفة الموانئ والطرق.

وأراد لها بعضهم من مدعي التقديمية أن تكون لهم هوية يتاجرون بأسمائهم دون مد يد العون لهم.

ومع ذلك لا نقول أننا نكابر، فثمة موت ثالث يأتي هذه المرة من النسيان: نسيان الأديب أو الفنان.

ذلك الداء الذي يصاب به أدباء الخارج أكثر من سواهم. فالحياة هنا تفرض عليهم أن تكون أعينهم مصوبة للغد المبهم رغم توفر المال والطعام.

(شُمر) المثقفين في المنافي ليسوا بخير وإن طالت أيديهم جيوبهم هذه المرة. المثقفون في الخارج بدؤوا ينسون أمثال (أبو كاطع) الصوت الشعبي الممتلئ ثقافة بالحياة، الصوت النقي الذي امتلأ به (لا) السياسية والثقافية. فيحول مفرداتها البسيطة إلى حكم وأمثال شعبية - سياسية. ذلك الصوت الذي كان يهدر من إذاعة بغداد ببرنامجه المعنون (أحجيتها بصراحة).

وبقي البرنامج لصدقه ونظافته لصيقاً بموقف إنسان قلما يغادر ذاكرتنا. وينسون الجواهري والسياب وبلند ومصطفى جمال الدين وينسون يوسف الحيدري ومحمود جنداري وموسى كريدي وسامي محمد وجعفر علي وغيرهم. السياسي والأديب شمران الياسري أحد المثقفين الذين ربطوا بين الثقافة والسياسة بروح شفافة ملفتة للنظر فهو وإن انتمى لحركة الحزب الشيوعي كان على خلاف معها في مواقفها غير الدقيقة مما سبب له تعباً فوق تعب ملاحقة السلطة له وهجرته وغربته حتى في بلده.

وفي برنامجه اليومي المثير للجدل (أحجيتها بصراحة يا أبو كاطع) يكشف فيه عن مساوئ سلطة وطبقات متنفذة وعن تشويه للتاريخ وعن إلغاء للفقراء والعمال، وعن تحريف للثقافة وللمثقفين كان يسجل فيه يومياً عما يستجد على أرض الواقع، وعما لم يتغير في أرض الواقع أيضاً.

الصوت الذي جلب عليه المطاردة والنفي والاختلاف ليستقر المطاف به في هنجاريا، محتذياً باراتها الليلية وصحبة بالسنة مختلفة وأناس يستطيب بهم المجلس كلما كان هناك شأن عراقي.

ثم يموت بحادث طرق في يوم ممطر لم يكن معه إلا صديق هنغاري.  
ويصادف أن يكون موته في يوم قصده شخصياً آتياً إليه من بغداد ومعني هدية خاصة له- بطل عرق مستكي- طالما كنا نشربه معاً.  
هدية هي بعض مما يسري النفس ومجموعة من كتب عراقية، لكنه لم يقرأها فقد غادرنا في يومها إلى مثواه الأخير.  
وكنتم في يومها في بيت الناقد والمترجم مصطفى عبود.  
الموت بالنسبة لأبي كاطع كان كامناً في مرابع طفولته، عندما انتمى لحركة سياسية تقدمية قادته للسجن مرات عدة، وللهرب، وللأختباء وللظهور للعلن وللمطاردة وحتى محاولة الاغتيال.  
يكتب أبو كاطع أحاديثه الإذاعية باللهجة الشعبية المفهومة من قبل كل العراقيين مستجلباً فيها حسجة الجنوب، وموال أواسط الفرات، وهوسات العشائر وغناء البادية، ومنابر الحسينيات، وثقافة الريف الحكائية.  
ومن داخل هذا التركيب الثقافي العراقي الغائر في الشعبية، كتب (أبو كاطع) روايته المهمة (الرباعية) حيث جسد فيها تاريخ المجتمع العراقي من خلال مفردات الريف الاقتصادية والسياسية والفكرية.  
بنماذج لا تنسى، وبشخصيات حية مكسوة بلحم العراق السياسي وبدمه الوطني وبثقافته الفطرية.  
فرسم لنا شمran الياسري خريطة لأناس الريف وهم يتطلعون لعراق توزع أراضيها على عمالها، ويتقاسم أبناء العراق ثرواته، ويتعلم أطفاله في مدارس لا يقرؤون فيها نشيداً غير النشيد العراقي الحقيقي، ويفهم أناسه العلاقة بين المدينة والريف من خلال تعاملهم مع الماكينة والبذور والنقود، ويعرفون أن رعاية الغنم هم أيضاً بشر لهم حقوقهم ومواقفهم.  
ومن داخل هذا التكوين الريفي يطل شمran الياسري على حركة الحداثة وعلى أفكارها الجديدة لبناء مجتمع عراقي .  
وفي الوقت نفسه كان يكشف عن الموت الكامن في كل خطوة يخطوها الريف إلى الأمام كان يحذر وينذر أن لا تؤمنوا بمطر الصيف فهو قاتل للزرع وللضرع.  
فكما أن للتقدم غموا يكون للتخلف والرجعية وقوى الردة نمو متصاعد.

يعالج المواقف المتناقضة لقوى التقدم ولقوى الردة بشيء من السخرية المبررة التي جلبت عليه عداء أصدقائه قبل أعدائه.

مما اضطره الموقف المتناقض سيّما في مرحلة ما يسمى بالجبهة الوطنية إلى مغادرة العراق ابتعاداً قسرياً عن ريفه وناسه وثقافته وحزبه.

ليموت في أرض غريبة رغم امتلائها بالحب له، ويموت ثانية في ذاكرة أصدقائه رغم تذكّره له، ويموت في السرد الحكائي الذي نجد تأثيره على الكتاب واضحاً.

تعرض (أبوگاطع) في بغداد لأشبع أنواع الممنوعات ابتداءً من سجنه، مروراً بفترات اختفائه إلى منعه من تقديم برنامج الإذاعي، إلى رفض طباعة رباعيته المشهورة، وأخيراً مغادرته العراق عام ١٩٧٦ بعد أن حرم من الكتابة حتى في الصحافة الشيوعية.

يقولون عنه إنه لا يحب أن يكون مع المنتصرين، بل مع أولئك المنسيين والمهملين والعاديين والخاسرين، فهم نبع كتاباته، وهم سجله اليومي. ومنهم كان يستمد مادته الثقافية الساخرة ومن مواقفهم المفترقة يبني كيانه مقالته.

كانت له ذاكرة تجمع بين الحكاية القديمة والحكاية الشعبية الحديثة جمعاً يجد له متكاً في الحياة اليومية للناس.

وفي برنامجة أو عموده الصحفي اليومي يؤكد (أبوگاطع) حضور الثقافة الساخرة الواخزة الناقدة في حياة الناس وهو أسلوب لم يكن أحد من المثقفين العراقيين يقترب منه لصعوبته ما عدا القلة من المثقفين العراقيين الذين برعوا في الكتابة الساخرة من بينهم صاحب جريدة حزبوز وأبو سعيد وقله آخرين.

فالسخرية هي فن الصعوبة، لعل الفن الكاركتيري العراقي من أكثر الفنون شعبية لما يمتلكه من بساطة تعبيرية ساخرة مرسومة بالصور المضحكة في الموضوعات الساخرة التي يعالجها (أبوگاطع) يومياً نجدها مستلة من نماذج معينة تتمثل بأناس بدؤوا بالتحول من وضع قديم إلى وضع جديد لم يستطيعوا استيعابه، الفقير الذي صار غنياً والجاهل الذي تحول إلى وطني والاقطاعي الذي أصبح فلاحاً والمكتنز النقود إلى فاقدها والراعي إلى ملاك وهكذا ففي مثل هذه النماذج تكمن السخرية والمفارقة والمواقف المأساوية.

ولأنه سياسي منتم لحزب سياسي وكي يصل إلى هدفه بيسر وسهولة كانت كتاباته

تخضع لعامل النقد، ولكنها في الوقت نفسه تمتلك الثقافة المفارقة، فهي معلومات عن التحول القافز، وحكاية مفارقة، وطراوة في الأسلوب واقتصاد في الكلمات..

فالريف العراقي منذ القدم وما يزال هو المعين لثقافة المدينة، ولأنه ريف تربي على الحرمان والعسف والجوع نتيجة سيطرة الإقطاع وتجار المحاصيل أصبح مادة لثقافة القص والشعر والغناء وخزناً لحكايات الأقدمين يرويها قاص القرية مازجاً بينها وبين حكايات ألف ليلة وليلة وكأن الزمن في قرانا العراقية لم يتقدم.

ولهذا نهض الريف في الحكايات الشعبية وفي الأدب الساخر أكثر مما نهضت المدينة.

من يقرأ رواية (أبوگاطع) (الرباعية) قد لا يجده روائياً متمكناً من فن القص، ولكنه يجده كاتباً استخدم فن الرواية للقول عن أوضاع مجتمع مضطرب. وفي مرحلة من أخصب المراحل سياسياً، فقد كانت كتاباته بارومتر الحياة الاجتماعية، منها يستلهم القارئ الظروف التي يمر بها العراق. ومنها يغادر إلى سواها.

وفي المحصلة أن هذه الرباعية التي لم تلق النقد الذي يليق بها، مهدت لأدب ريفي اجتماعي تشرب في العديد من كتابات الأدباء العراقيين لاحقاً. شخصياً كنت من أصدقاء شمران الياسري (أبوگاطع) فهو مدير تحرير الثقافة الجديدة وأنا محرر فيها بالقسم الثقافي مع نخبة أدبية بينهم الناقد فاضل ثامر وهاشم الطعان والفريد سمعان. ومعنا عدد من الكتاب.

في هذا المطبخ اليومي للثقافة الجديدة كنا نطل على تاريخ العراق من خلال ثلاث صور الأولى إن موقع الثقافة الجديدة كان في الباب الشرقي ومن حولها عدد من مراكز الأمن والاستخبارات وحركة المدينة وصخبها وتحولاتها ومظاهراتها ومصادماتها فبغداد لا تراها إلا في ساحة التحرير.

الثانية إن مجلة الثقافة الجديدة يومذاك ليست الثقافة الجديدة اليوم كانت مجلة نابضة بالحدثة والتقدم تضع في حسابها ثقافة العراق قبل ثقافة الدول الأخرى. الثالثة إن الفترة التي كنا نعمل بها وهي بداية السبعينيات تشهد في يوم واحد اغتيلات سياسية ومفاوضات لقيام الجبهة الوطنية.

ولا تدري أين تذهب بعد أن ينتهي الدوام في الثقافة الجديدة هل تذهب إلى بيتك، أم إلى مكان مجهول وأنت معصوب العينين.  
في هذا الجو كان (أبوگاطع) مديراً للثقافة الجديدة وفي الوقت نفسه كان ممنوعاً من الكتابة.  
ولما لم يستطع الموازنة قرر الرحيل عن العراق ليسكن في هنغاريا ويموت في جيکوسلوفاكيا ويدفن في مقبره فارغة إلا من حنين وطن وكلمات قليلة.

## بصراحة (أبوغاطم)

عريان السيد خلف

لأن الشجرة الطيبة لا تثمر إلا طيباً.. ولأن الطيب هاشمي الأصل والجذور،  
وشيوعي المبادئ والمواقف التي لا تتزحزح. ولأن الخيرين من الناس يرسخون في ذاكرة  
ووجدان الجماهير. فقد قرأت مقالة ابن أخي الوفي والكاتب المميز السيد إحسان السيد  
شمران الياسري.

ودهشت لدى هذا التأصل الإنساني المتواصل فهو كاقْتباس الضوء من الضوء..  
فعباراته.. وكلماته.. ومفرداته.. كانت كلها توحى لي بمدرسة والده المناضل  
المرحوم الصديق والرفيق والأخ الذي لازمته في السبعينيات.. وكان معلمي الذي أضفى  
عليّ الكثير من الدقة والصراحة والحسم في المواقف التي لا تقبل التراجع والضعف..  
فعلا كان (أبوغاطم) رحمه الله معلماً.. وكان قائداً في أصعب المواقف وكان  
يبدد توجسنا بنكاته الشجاعة.

أتذكر مره وفي أحد احتفالاتنا الكثيرة وكنت متزوجاً حديثاً..  
وجدني اجلس في زاوية من زوايا القاعة الباذخة بالبهجة والغناء والرقص. ومن  
كان معي، غافلين عن المجزرة التي كانت بانتظارنا..  
نظر في وجهي ثم ضم وجهي بكفية الحانيتين.. قائلاً: هل تسمح أن أراقص  
عروسك.. ترانه ابن عمك، قلت: لا مولانا..  
قال.. جاكوم وأركص وياها..! واستجبت لنداء سيدي الرمز العالق بذاكرتي إلى  
مالا نهاية..

وكلما تحدثت لأولادي عنه وأنا أفرش صورته أمامهم يتبسّمون ويبكون لأنهم  
يشاهدوني وأنا أداري دموعي عنهم.

فالسيد شمران ابن السيد يوسف هو عمهم، الذي قلما تجود الحياة بأمثاله، حتى كنت آخذهم إلى "شاخه ثمانية" .. لأريهم بساتين سيد إبراهيم وسيد يوسف فطالما جلسوا على ضفاف ذلك الجدول الصغير الذي ينبع من نهر دجلة، هكذا تتجدد ذكرى هذا الرمز الذي لا يشيخ في ضمائرنا أبدا.

وكم أتمنى أن يقبل ابن أخي السيد إحسان، أن يستمر في كتابة عمود يكون تحت عنوان (ابصراحة ابن أبو كاطع) فيكحل عيون رفاق والده الشهيد. له المجد ولأولاده البقاء والثبات على درية الشريف.

## شاعر وأغنية... الراحل كاظم الرويعي... عشك الكام الهوية الوطنية

ذياب مهدي آل غلام

كلمة عن الشاعر: كاظم الرويعي واحد من الأسماء التي تركت بصماتها على الساحة الغنائية العراقية منذ بداية ستينيات القرن الماضي وجعلته من أعلام كتاب الأغنية في العراق

ومن يستعرض الأعمال الغنائية التي كتبها يجد أنها قد أدت بأصوات معروفة كانت تحتل مساحة واسعة من الغناء العراقي كفؤاد سالم وفاضل عواد وسعدي الحلي وحميد منصور وغيرهم حتى بلغ مجموع الأغاني التي كتبها أكثر من (٤٨٠) أغنية اشتهرت منها (يا عشكنه) وبنجوم صيرن كلايد وعادوا الغياب وبأسفانه وسلامات ويم داركم ولبله ويوم وغيرها

وهناك قصائد غنائية كتبها الرويعي ضمها ديوانه (البيرغ) الصادر عام ١٩٦٨ و(الفجر وعيون أهلنا) الصادر عام ١٩٧٥ والتي أثارت الكثير من الإعجاب ليس بالشعر الغنائي العراقي المعاصر بل وبالشعر الشعبي العراقي الحديث في مرحلة ما بعد (مظفر النواب) وشاكر السماوي وعريان السيد خلف وكاظم إسماعيل كاطع وكاظم الركابي وعزيز السماوي وشاكر السماوي و طارق ياسين ثم زامل سعيد فتاح وآخرين واذا ما حاولنا إعطاء صورة واقعية عن إسهامات كاظم الرويعي فيمكننا الاستعانة برأي المرحوم (شمران الياسري) المشهور (بأبي كاطع) الذي قال عنه في إحدى المناسبات (انه ويقصد كاظم الرويعي يشكل منعطفاً في كتابة الأغنية لابد ان تستوقف مؤرخ الأغنية العراقية الحديثة على مدى طويل) ومهما يكن من أمر فقد استطاع ذلك

الفتى القادم من ناحية المدحتية في محافظة بابل والذي ولد فيها في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي أن يلهب حماس شباب الستينيات والسبعينيات بمفرداته الأقرب إلى روح العصر والتي ضمتها كل أعماله الغنائية والشعرية حتى بلغ تأثيره على عدد من شعراء جيله نفسه ومنهم الراحل طارق ياسين وعلي الشيباني وزامل سعيد فتاح وذياب كزار (أبوسرحان) ومن أتى بعدهم كغازي ثجيل وقاسم عبد الشمري وسلمان شرهان الربيعي وفالح حسون الدراجي ورياض النعماني وغيرهم مما جعل الساحة الغنائية العراقية تعج بالجددة والتطور ولاسيما مع بروز أصوات غنائية جديدة أدت ما لم تستطع أصوات تقليدية أداءه بعد الطفرة الكبيرة التي أسهم بها (الرويعي) في كتابة الأغنية الحديثة ولعلنا لا نجانب الحقيقة في شيء حين نجعل من كاظم الرويعي وعطاءه الثر لا سيما في قصائده التي نقدم لها فاصلا بين مرحلتين في الغناء العراقي وهما... المرحلة التقليدية التي كان يمثلها الراحل الشاعر عبد الحسين (أبوشعب) النجفي وجودت التميمي وعدنان السوداني وجبوري النجار وزاهد محمد وغيرهم وبين المرحلة المعاصرة التي بدأ بها الرويعي وأتباعه أو من كتبوا الأغنية على طريقته ككريم العراقي وعزيز رسام على الرغم من الاختلاف الكبير بين الأساليب فالمفردة الشعرية لدى كاظم الرويعي مشحونة بالايحاء الثر وتكاد تكون وحدها صورة شعرية تتداعى في ذهن المتلقي لتتحول إلى جملة غنائية لا مفر منها في خلق أجواء تطريبية حتى تلك التي تعج بالمباشرة كالقصائد الوطنية التي لا تخلو من حماس والتي تقترب في بعض الأحيان من... الأزوجة... لقد أتقن الرويعي أدواته الشعرية أيما إتقان فوفرت له إمكانية جديدة ليس في تحديث الأغنية حسب وإنما في بسط خيالات جديدة لدى المتلقي أيضاً وهو بهذا قد حول الأغنية إلى جانب تطريبها إلى قصيدة ترددها الأفواه تعبيراً عن اختلاجات النفس الإنسانية فاستحق بذلك أن يكون فاتحاً لآفاق جديدة في الشعر الشعبي العراقي المعاصر. توفي في الأردن في المستشفى الإيطالي وكنت أحد الملازمين له وكان رفيقه الدائم في الأردن هو الرفيق عادل حسن أبو سلام من أهل المدحتية وهو من أقارب (أبوتمام) ومعارفه المخلصين في غربته لم توافق السلطة المباداة للبعث الإجرامية دخول جثمانه للعراق ولذا دفناه في المقبرة الإسلامية في سحاب عمان

ومن أغانيه الرائعة... عشك الغاع... .. يا عشكنه  
الأغنية الجماهيرية التي فازت بالجائزة الأولى لسنة ١٩٧٥  
غناء مطرب الشعب فؤاد سالم والمبدعة شوقيه زوجة الفنان الرائع حميد البصري  
ومن ألحانه أيضاً:

يا عشكنه . . . . فرحة الطير . . اليرد لعشوشه عصاري  
يا عشكنه ايمد سواييط العنب ونحوشه عصاري  
كاعنه فضه وذهب وأحنه شذرها  
ياحالة العمر لو ضاع ابعمرها  
يا عشكنه . . . . يا عشكنه  
\* \* \*

خذني للمرواح عود  
خذني سن المنجلك  
ومن يشع ضي الحدود  
شمعه وبديرة هلك  
اضوي ليام الحصاد الجايه  
والبيادر كالجبال العاليه  
ماينه . . . . أشطوط وسعد  
وأنسامنه . . . اطيور وورد  
كاعنه فضه وذهب واحنه شذرها  
ياحالة العمر لو ضاع ابعمرها  
يا عشكنه . . . . يا عشكنه  
\* \* \*

ايدي وايدك عالمساحي . . . الدنيه تموز وشمس  
وليلي اضوه من صباحي  
والوكت زفة عرس  
اتطوف اغانيه ابشلبنه وهورنه

ولو سعيته الخير خير ايزورنه  
آمالنه . . . اتطك بالشجر  
وجبالنه . . . ابعلو الكمر  
كاعنه فضه وذهب واحنه شذرها  
واشحلاة العمر لو ضاع ابعمرها  
يا عشكنه . . . . . يا عشكنه

## كلمات في وداع الطيب (أبو علي) كاظم عجلان عداي

### نجم خطاوي

في روايته الخالدة، الرباعية، يصف لنا شمران الياسري (أبو كاطع)، الكثير من الشخصيات والأحداث. ويكاد يكون (ملا نعمة) أحد الشخصيات الثورية والمهمة في هذه الرواية. وكلمة (ملا) تبدو للوهلة الأولى وكأنها ذات دلالات دينية، لكنها في الحقيقة قد امتزجت مع المفاهيم التي كونها الناس عن ذلك الذي يكون بمقدوره تفسير بعض الظواهر والحالات التي تحيط بهم، وأحياناً في القدرة على تقديم إجابات حكيمة ومقنعة عن بعض الأسئلة التي يعجز بعضهم في إيجاد إجابات مقنعة عنها. ورغم صغر عمر الفتى (نعمة) فالناس كنوه بالملا تحبباً به وإقراراً بفطنته وحكمته وهيبته. لا أدري لماذا جالت في خاطري هذه الفكرة وأنا أعيش لحظات الألم بفقدان (أبو علي)، والذي اعتاد رفاقه الأنصار الشيوعيين العراقيين أن يسموه (أبو علي الشايب).

الذين عايشوا هذا الإنسان، الطيب، والمتواضع، والثوري، والحيوي، والفتي، يعرفوا بالتمام، أن ليس هناك من وصل بين التسمية والواقع. وتكاد تكون التسمية مشابهة لحالة بطل رباعية شمران الياسري (ملا نعمة)، فكلمة الشايب تعني هنا بالتحديد، الخبرة المتراكمة، والتعلم من دروس وعبر الحياة، والحنكة، والجواب عن الأسئلة الصعبة، واتخاذ القرار دون تردد، والطيبة، والنبيل، والقدرة على حب الآخر وتقديم النصيح له. وهذه الصفات كادت تكون الثوب الذي ازدهى به (أبو علي)، في كل محطات دروبه التي سار فيها شامخاً دون أن ينحني.

التقيته في سهول مدينة أربيل، وجبالها، وقراها، وسط سرايا أنصار الحزب الشيوعي العراقي، واخر ثمانينيات القرن الماضي. وكان قد قدم إلينا رغبة منه ليكون قريباً من السرايا القتالية، وقرباً من جماهير المدن.

وهناك في قاطع أربيل كلف بالعديد من المهمات وكان أهلاً لها.

في مساء كالح من عام ١٩٨٨ لاحت لنا جموع الأوباش وهي تزحف قريباً من نهر الزاب، باتجاه مواقعنا. معلنة بدء حملات الأنفال. وبدأنا بإخفاء الطحين والأسلحة والاستعداد للمواجهة.

في تلك الأيام كان العزيز (أبو علي) مكلفاً بمسؤولية أحد المقرات القريبة من منطقة (سماقولي)، وهناك تجمعت قوتنا القادمة من سهول أربيل وكوي سنجق وكنديناوه ومخمور.

كانت الساعات حاسمة وخطرة، وتتطلب قرارات خطيرة ومصيرية تخص شكل حركة ومفارز الأنصار الشيوعيين.

على العشب جلسنا مجموعة فمثل سرايا قه ره جوغ، وأربيل، وبرانتي، وكان هناك أيضاً الشهيد (كانبي)، والعزيز (أبو علي). جلسنا للإجابة عن السؤال الصعب يومها: ما العمل ؟

ورغم أن الطيب (أبو علي)، لم يعيش تجربة سرايا السيارات، بحركتها السريعة والواسعة، ودخولها الذي يكون يومياً، لمدينة أربيل، وغيرها، والتي اختلفت عن تلك السرايا القتالية التي خاضها مع أنصار أربيل، فقد كانت مواقفه ونصائحه وأفكاره وتدابيره، تنم عن قدرة فائقة في المعرفة السياسية والعسكرية، تراكمت لديه من خلال تواجده المبكر في حركة الأنصار، ومن خلال تجاربه الحزبية، والسياسية، والعسكرية، في السجون والأهوار والمدن.

وبعدها حل الوداع، حيث تفرقنا كوحدات صغيرة في السهول والجبال، وحسب توصية وحكمة ذلك اللقاء الذي كان (أبو علي) من حاضريه.

وبدل هذه المفارز الصغيرة، أرغمنا على خوض معارك صعبة وقاسية، للدفاع عن مناطق (وادي بالي سان)، وعلى قمم جبل هيبب سلطان، وغيرها، ولم أشاهد (أبو علي) بعدها.

وتركت سهول أربيل، باتجاه مواقعنا الخلفية في (كافيه)، سوية مع مجاميع  
الأنصار، بعد أن ضاقت بنا السبل.  
ولم تمض أيام ليحاصرنا أوباش ومرتزة النظام المقبور ثانية.  
وسرنا في واحدة من المفارز التاريخية باتجاه الحدود التركية، ومعنا سارت النساء،  
والأطفال، والمرضى، والضيوف.  
وكانت مسيرة عشرة أيام شاقة ومضنية، وبعد معارك بطولية، عبرنا الحدود باتجاه  
تركيا، ومنها عبرنا صوب الحدود الإيرانية، ومنها توجهنا ثانية صوب كردستان العراق  
(جوزيه)، ومن هناك تحركنا بعد أيام صوب (ناوزنك) و (نوكان).  
وفي هذه المواقع الجديدة، التي شيدناها من الحجر، وسط ظروف نفسية، وإرهاق،  
ومعاناة، و بعد توالي الأحداث العسكرية، والانكسارات، وسيطرة جيش النظام على  
أغلب مواقع كردستان العراق، وانحسار الحركة الأنصارية.  
وهناك كان العزيز (أبو علي) معنا أيضاً، وكانت الحاجة كبيرة لسماع كلماته،  
وهي تعلم على الصبر والتروي وعدم فقدان الثقة بالناس والحزب.  
هي خسارة فادحة ومؤلمة، أن يودعنا (أبو علي) إلى مدينة (كيرونا) السويدية،  
الملاصقة لقطب الشمال، في آخر الشمال السويدي، بعيداً عن أهله وأحبته في مدينة  
الثورة في بغداد، هؤلاء الكادحين الذين نذر لهم أجمل سنوات عمره. وبفقدانه خسرنا  
صوفياً شيوعياً، نحن أحوج اليوم إلى حكمته، وحنكته السياسية، في وطن مزقته  
الطائفية والأحقاد والتطاحن على السلطة البغيضة.



## شمران الياسري ومراقبة الأمن

أدناه نماذج من المراقبة الشديدة التي تعرض لها شمران الياسري وأسرته وكل من له صلة به من قبل جهاز الأمن ومن الحزب، والجهود الكبيرة التي بذلتها السلطة في مراقبة الشعب العراقي.

### قصة عن تدخّل الأمن في حكايات (أبوكاطع)

هذا نموذج عن تدخّل الأمن فيما ينشره (أبوكاطع) ومحاولات استخدامه بالإساءة إلى الحزب أو لـ (أبوكاطع).. ونلاحظ جرأة الكاتب في التصريح أو في التلميح.

### أسرع من كحيلان

قرأنا عليه بعض ما كتبتّه الصحافة العربية، وروينا له بأمانة ما رددته بعض الإذاعات الأجنبية.. فابتسم خلف الدواح وقال:  
- ذيج السنة صارت عركة بين ربع مشنت وربع حمود. يا معزوز عيني لكدوهن ربع حمود ضحى، وغداديرهم يتلامعن تحت عين الشمس، وخيلهم يلهمن الطفا..  
امشنت معروف بين العشائر، اچذب من الشكرا، هشات دواوين.. ياما وياما شارب فنجان حمود.. وياما وياما كايل اشلع حمود من ظهر عبيّان، واجيبه لفروخ الدغمان يضحكون عليه.. وچانوا اجاويد كومه يردون عليه: هذا الحچي عيب.. هذا الحچي مايلوك لابن الحمولة.. لكن ما يفيد التعلوم وبه امشنت.. ما أطولها عليكم، انكتن خيل حمود وربعه. وچان إتزوج روح امشنت، ويلكد كحيلان، اشراده، وتنچسر سرية الدغمان كسره شينه.. - ويا ما ابعد أهلهم عليهم- .  
طوّل المطراد. طفح كلب امشنت من الخوف وچان ايحول عن ظهر كحيلان ويركض على رجليه..

صاحوا عليه عمامه: ولك اشسويت ؟ لا ياخذونك يسير (أسير) يسليت !  
كأللهم امشتت: خلوني خلوني.. الما يلزم المجدح بيده ما يروا.. والما تنفعه رجليه  
وتخلصه بيوم الضيغ ما تخلصه رجلين كحيلان.. !  
وچان يصيح ابن عمه:

- دوركم امشتت.. دوركم إياه.. تره من خوفه حساباله يركض أسرع من كحيلان..  
ولكم الزموه، چتفوه، وجيبوه كوه.. لا ينوخذ كضيب ويكسر وجوهنا !  
فعاد يا بعد چيدي، هذا اليريد يعتمد على رجليه ويعوف كحيلان، مثل مشتت،  
ينراد من أخوته وعمامه يچتفوه ويجيبونه كوه، حتى لا يكسر وجوهنا !

\*\*\*

(يبدو أن الأمن وحزب السلطة حاولا استخدام هذا المقال لتحريض بعض الإخوة من  
عشيرة آل غريب وإقناعهم بتقديم الشكوى. فالمرحوم عزيز المشتت أحد وجوه العشيرة،  
وقد استجاب للأمن ربما بدافع إبعاد الشبهة عنه.. إذ يقال إن الأمن لمحو له بأنه لو لم يكن  
شيوعياً لما ذكره (أبوگاطع) بالاسم.. وهكذا أرسلوا الكتاب أدناه إلى الأمن العام وصدر  
على ضوئه كتاب من مديرية الرقابة على المطبوعات إلى الجريدة فيه تهديد الخ... )  
مديرية أمن واسط العدد / ٢١٣

القلم السري) التاريخ ١٦/٩/١٩٧٢

إلى/السيد مدير الأمن العام

م/ معلومات

صدرت في جريدة الفكر الجديد العدد ١١ بتاريخ ٣/أيلول/١٩٧٢ حكاية  
أبوگاطع بعنوان (أسرع من كحيلان) والتي أدت إلى ظهور خلاف عشائري بين عشيرة  
آل غريب نفسها وحضر قسم من رؤساء العشيرة منهم المدعو عزيز مشتت لغرض تقديم  
شكوى بهذا إلى مقر الحزب والسيد المحافظ وإلينا واتحاد الجمعيات الفلاحية واعتبروا  
أن هذه الحكاية مس بكرامتهم ويطلبون اتخاذ الإجراءات القانونية ضده وإلا قد تحدث  
مشكلة عشائرية.

ولولا تدخل الحزب والجمعيات الفلاحية بالموضوع لحدث مالا يحمد عقباه. وخشية من وقوع حادث عليه حيث أخذ يتردد في الآونة الأخيرة بكثرة إلى منطقتنا لذا نرجو التفضل بالاطلاع وأمركم بإشعار الجهات المختصة بذلك

نقيب الأمن  
مدير أمن محافظة واسط

\*\*\*

ولم يتركها (أبوگاطع) تمر دون رد ودون تلميح إلى معرفته بمن يقف وراء الموضوع في جراءة شديدة على أجهزة السلطة:

### إيضاح للحكاية

#### مشتت وحمود الذرب\*

بعثت من يحضر خلف الدواح على عجل وقبل أن يستقر به المقام سألني مستغرباً  
- شنهى هالاحضارية المستعجلة يا ستار ! اشورها ؟  
عزيمة يو چوي حصان ؟!  
قلت متصنعا الحدة:  
- ورطنتي بسالفتك مالت مشتت وحمود الذرب، ویه واحد قاري الجريدة، جده  
اسمه مشتت، ايكول تعنون بهاي الحچاية جدي..  
ضحك خلف ببرود.. وحرك كفه في الهواء وقال:  
- تهی بهی، داخلین علی جدك یا بعد چیدی. حسبالي وصیتك وراها شغله  
تنفعني.. یو محتازني بشغله صعبه ؟ هسه انتہ علی هالسالفه الماچول ریعها ودیت  
عليّ؟  
خوب انشد هذا اليكول تعنون جدي. وكله عمي شنهی كحط اسم مشتت بین  
العشایر ؟ چا كحط علینا الاسامي وردینا لجدك ؟ وكل له عمي، ترا احنا حاطین  
حجارتنا بعینا، من كون السالفه صایرة بمحیرجه انسوي مچانها بالدغارة. ومن كون  
المسوي الحچاية اسمه جلعوط نجلبه شخبوط.

وكله يبعد جبدي، ترا جدك لا على البال ولا على الخاطر، العباس كفيلك، وانجان  
املعبك احد تراني اعرفه.. واعرف سويلقاته.. حسبالي جاز منهن لكن طلع مثل فرس  
شتيوي، يوم رادوا ايتيونها من شلعة الخيه.. حموا الخية بالنار، ولبدولها.. رادوا  
ايشوفون شلون تشلعه بضرورها.. وچان تندار وتجع على الخيه.. حتى اتبردها  
وتشله ! (البه بيه.. انشد على سلامته ؟)

### المراقبة

إلى مديرية أمن واسط عدد ١١٧٦  
من ضابط أمن العزة ت ١٩٧٢/٨/٢٦  
في الساعة ١٠.٠٠ ق. ظ قدمت السيارة المرقمة ١٠.٢٦٦ بغداد من نوع رينو  
سائقها شمران يوسف محسن الياسري واصطحبت معها الجندي شاكر يوسف محسن  
الياسري من سدة الكوت إلى مركز تدريب مشاة الكوت حيث ذهبوا إلى الملازم الاول  
مزعل المكصوسي مساعد آمر مركز تدريب مشاة الكوت وقد غادر إلى صوب الكوت  
في الساعة ١٠.٣٠ للتفضل بالمعلومات رجاء

المرسل حسين عربي / ملازم الأمن  
المستلم محسن فايق / ضابط أمن العزة

\*\*\*

قيادة فرقة الأطراف الثانية  
منظمة واسط

م/ معلومات

سافر إلى بلغاريا جبران شمران الياسري للحصول على شهادة للتخصص في  
موضوع الكهرباء وعلى ما يظهر تمت الموافقة عن طريق الحزب الشيوعي والآن يريد أن  
يسافر المدعو (بهلول سعدون ضيدان) إلى بلغاريا أيضا وكما علمنا أنه غير فكرته  
حيث لا يستطيع ترك أهله وأقربائه لمدة ثلاث أو أربع سنوات وهناك علاقة قوية بين

أسرة شميران الياصري وأسرة سعدون ضيدان التي تسكن شاخة / ١٢ حيث لاحظتهم وبنفسي في العرس الذي تم في دار سعدون وابن سعدون المدعو شدهان سعدون شيوعي يسكن الكوت ومعلوماتنا تؤكد إن أسرة بيت سعدون ضيدان أسرة شيوعية حيث إن الشيوعي عبد والي على لقاء دائم بهذه الأسرة وأكثر الأوقات يكون مبيتهم عندهم للتفضل بالمعلومات ودمتم للنضال ولرسالة أمتنا المجد والخلود.

أمين سر المنظمة

الرفيق مدير الأمن

لمعالجة الموضوع بشكل مستعجل وعن طريقكم ودمتم  
شعبة واسطة

\*\*\*

مديرية أمن محافظة واسط / القلم السري

العدد / ٥٣٣٠

التاريخ / ١٩٧٣/٨/٢٦

إلى / مديرية الأمن العامة - القيود السرية-

م/معلومات

كتابكم ٥٠٥١٦ في ١٩٧٣/٧/١

إن الهوية الكاملة للشخص موضوع بحث كتابكم أعلاه هو: كعود فرحان بريدي الجليباوي كان يسكن سابقا ناحية واسط شاخه (٨) وحاليا يسكن بغداد الثورة شارع ستين وأنه ينتمي إلى الحزب الشيوعي العراقي اللجنة المركزية للتفضل بالعلم رجاء.

م. أول الأمن

و/مدير أمن محافظة واسط

(كعود الفرحان هو ملهم (أبوگاطع) للشخصية المثيرة خلف الدواح.. لان خلف الدواح الحقيقي، وهو من عشيرة آل غريب وابن أخ المناضل الراحل صباح الشرامة، كان عمره عشر سنوات يوم توفي المرحوم شميران الياصري. أرجو ملاحظة مقالة الأستاذ أحمد شميران الياصري حول شخصية خلف الدواح).

\*\*\*

إلى/أمن عام/ الشؤون السياسية ش١

من/ مديرية أمن محافظة واسط

التاريخ ١٩٧٣/١١/٢٥

رقم المنشئ ///٧٥٧٧علمنا من مصدر موثوق بأنه بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٣ جاء إلى قضاء النعمانية كل من عبد الرزاق الصافي وشمران يوسف الياسري أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي وعند حضورهما القضاء المذكور استقبلهم السيد مالك دنبوس الياسري وهو من أقارب الشيوعي شمران الياسري ثم توجهوا إلى دار السيد مالك وحلا ضيفين عنده (٠) وفي الساعة ١٤٠٠ من اليوم نفسه غادر المذكوران القضاء متوجهين إلى بغداد بالسيارة المرقمة ١٠٢٦٦ بغداد من نوع رينو للفضل بالمعلومات رجاء.

نقيب الأمن

و/ مدير أمن محافظة واسط

مديرية أمن محافظة واسط

العدد ٣٣٤٦

التاريخ ١٩٧٨/١٠/٣٠

إلى/ضابط أمن (٥)

م/ معلومات

علمنا بأن الشيوعي شمران يوسف الياسري حالياً يسكن براغ وعضو لجنة تنظيم جيكونسولوفاكيا للحزب الشيوعي العراقي هناك .. للعلم وتأشير ذلك لديكم. رجاء  
م. أول الأمن  
ضابط أمن الكوت

مركز أمن ناحية واسط

التاريخ ١٩٧٢/١١/٢٨

إلى/ مديرية أمن محافظة واسط

م/ معلومات

علمنا من مصدر أنه من أقاويل شمران الياسري أثناء زيارته إلى أقاربه خاصة في العيد في شاخه ٨ دار حديث في الليل مع صاحبه الذي كان يرافقه هو إن استئناف

القتال يضر الطرفين كما قال إن الحزب الشيوعي هو الوسيط بين السلطة وبين الحزب الديمقراطي الكردستاني هذا للتفضل بالعلم

مفوض الأمن / مأمور مركز أمن ناحية واسط

\*\*\*

إلى مديرية أمن واسط العدد ٤٦١٧

من ضابط أمن النعمانية ت ١٩٧٢/٩/١٣

دخل قضائنا المدعو شمران الياسري صاحب السيارة المرقمة ١٠٢٦٦ بغداد نوع رينو وكان معه في السيارة المدعو سيد مالك سيد دنبوس الياسري وكان ذلك في الساعة ٢/١٢ من ظهر يوم ٧٢/٩/١٢ وجلس الاثنان في مقهى بلديه النعمانية وبعد مضي ربع ساعة ولم يتصل بهما أحد من القضاء وبعدها توجه المذكور بصحبة السيد مالك إلى داره الواقعة خارج القضاء والتي تبعد ١٦ كيلومتر وقد وصلوا الدار المذكورة نحو الساعة الرابعة عصرا وشوهد المدعو شمران الياسري وهو نائم في دار المذكور في تمام الساعة ٥ و٢/١ نهض المذكور وبعدها جلس مع السيد مالك وأخيه السيد عبد الله ودار الحديث حول الزراعة وإن المذكور لم يتكلم شيء وبعد تناول طعام العشاء بفترة دخل غرفة سيد مالك الخاصة الليلة ولم يخرج من دار المذكور. في اليوم الثاني وفي الساعة الثامنة والنصف رجع المذكور إلى مفرق النعمانية ولم يتوقف في القضاء ولكن توقف قرب الجسر وذلك لمرور السفن وبعدها عبر المذكور وشوهد متوجهاً " إلى الكوت علماً " بأن مجيئه للمرة الأولى وأنه خال سيد مالك سيد دنبوس الياسري للتفضل بالعلم رجاء

المدير

٩/١٣

مركز أمن ناحية واسط العدد ٩٢

التاريخ ١٩٧٣/٣/١٢

مديرية أمن محافظة واسط

م/معلومات

علمنا من مصدر موثوق به بأن الشيوعي شمران الياسري يتردد بين فترة وأخرى إلى شاخه (٨) وشاخه (٧) ومنطقة العتابية ويأتي من بغداد وعن طريق (عبري) لأن

من أقواله إنني آتي عبري كي لا يعرف بيه أحد لأن الأمن يراقبني عندما أدخل الكوت بسيارتي مره جئت من بغداد إلى الكوت والأمن مراقبيني وذهبت إلى قضاء الحلي وبت في بيت (فضيل صكر) والأمن مراقب البيت حتى الصباح فأنا آتي عبري أحسن من ما آتي بسيارتي للتفضل بالمعلومات رجاء.

مفوض الأمن

مأمور مركز أمن ناحية واسط

مكتب أمن واسط

يطلب التأكد من المعلومات

ومراقبته عند دخوله

المدير ٣/١٣

\*\*\*

مديرية أمن محافظة واسط

- القلم السري-

العدد ٨١٦٨

التاريخ ١٩٧٥/١١/٢٧

ضابط أمن الكوت

م/معلومات

نرجو وضع المدعو فائز شمران يوسف الياسري يمكث بدار الشيوعي فيصل سعيد علي في محلة الكرامة يروم التعيين في الشركة اليونانية في ناحية الأحرار تحت المراقبة السرية الشديدة ورصد تحركاته واتصالاته وإعلامنا

المفوض جلال

لوضع الموما إليه تحت المراقبة الشديدة وإعلامي

١١/٢٩

نقيب الأمن

مدير أمن محافظة واسط

\*\*\*

مديرية امن محافظة واسط  
القلم السري

العدد/ ١٠٥

التاريخ/ ١٩٧٣/٦/٥

إلى السيد مدير الأمن العام  
م/معلومات

-----

برقيتنا ٥٠ في ١٩٧٣/٣/٢٦

في الساعة السابعة والنصف من مساء ١٩٧٣/٦/١ وصل محافظتنا الشيوعي  
شمران يوسف محسن الياسري بالسيارة المرقمة ١٠٢٦٦ بغداد نوع رينو وفور وصوله  
الكوت اتصل بمحل المحامي كامل الياسري وداره وبعدها توجه إلى قضاء الحلي حيث  
اتصل هناك بالأشخاص كل من كريم صكر وناصر جبر عبد الغريبوي ومحمد سيد حمد  
الله الفاضلي وجميل الياسري وكذلك اتصل مع الشيوعيين كل من عبد الحسين جبر  
حنش الشمري وهاشم جلاب وكعود الفرحان للتفضل بالمعلومات ومازلنا مستمرين  
برصد تحركاته واتصالاته عند تواجده ضمن منطقتنا رجاء

نقيب الأمن

مدير أمن محافظة واسط

- مراسيم الفاتحة -

أقيم مجلس الفاتحة في دار إبراهيم الياسري عم الشيوعي شمران الياسري في  
شاخه (٨) التابعة لناحية واسط وقد تردد للفاتحة المذكورة عدد من أعضاء الحزب  
الشيوعي (اللجنة المركزية) وفي اليوم الثاني حضر المكان المذكور الشيوعيان عبد  
الرزاق الصافي وآخر لم يتمكن من معرفة اسمه وقد اتصل بهما الشيوعي هاشم جلاب  
والشيوعي عبد والي وقد أخذ الأول بمناقشتها عما جاء مؤخرًا في جريدة التآخي حول  
موضوع تحديد المناطق الإدارية (كركوك - خانقين - سنجار) ثم قال هاشم جلاب بأن  
الحزب الشيوعي سيطرح رأي وسط كما إن الشيوعي شمران الياسري كان غير متفائلا  
من علاقة الحزب الشيوعي بالحزب الديمقراطي الكردستاني كما وقد حضر مراسيم

الفاخرة كل من الشيوعيين فتاح طه الدخيل مسؤول الحزب الشيوعي في الكوت وعبد الحسين جبر الموظف الصحي في قضاء الحلي حيث انفرد بهما الشيوعي شمران الياسري فترة من الزمن وقد لوحظ وجود حساسية بين عشيرة آل ياسر وعشيرة آل غريب حيث إن العشيرة الأولى رفضت هدية العشيرة الثانية التي قدمها عبد الحسين الزريجي وعزيز مشنت وعلى أثرها تركا المكان المذكور وهما متضجورين من سوء التصرف الذي لقياه من عشيرة آل ياسر.

\*\*\*

إلى / أمن حام ش ١

التاريخ ١٩٧٣/١/٢٠

من / مدير أمن واسط

رقم المنشئ / ٢٧٠ / صباح هذا اليوم قد وصل إلى الكوت المدعو شمران الياسري أحد الشيوعيين المعروفين في محافظتنا في السيارة المرقمة ٧٧٥٧ بغداد لحضور مراسيم تشييع جثمان السيد عيسى السيد شنين الياسري (٠) انطلق المشيعون من الجامع الكبير في الكوت إلى ساحة ١٤ تموز ثم غادروا في الساعة ١٦٠٠ محافظتنا متوجهين إلى بغداد ومنها إلى النجف الأشرف للتفضل بالمعلومات رجاء

\*\*\*

إلى / مديرية أمن محافظة بغداد / ٦٦

م / أموال

لاحقا لبرقيتنا ١٣٦٠ في ٩٧٨/٤/٣٠

بتاريخ ٩٧٨/٥/٦ قرر السيد حاكم تحقيق الكوت حجز الأموال المنقولة وغير المنقولة العائدة للمتهم شمران يوسف محسن الياسري الملقب (أبوگاطع) وفق المادة (١٢١) من قانون الأحكام الجزائية. نرجو وضع الحجز فيما إذا توجد لديه أموال منقولة وغير منقولة للمذكور أعلاه وإعلامنا رجاء..

مقدم الأمن

صورة منه إلى / مدير أمن محافظة واسط  
محافظة واسط / للتفضل بالعلم وإلحاقاً بكتابنا ٢٤٠٩ في ٩/١١/٩٧٦  
مديرية الأمن العامة - ٤٥  
مديرية الأمن العامة - الشؤون الاقتصادية  
مديرية الأمن العامة - م - ٧٨ / للتفضل بالعلم وإلحاقاً لبرقيتنا أعلاه رجاء..  
مديرية التسجيل العقاري لمحافظة واسط / نرجو إعلامنا فيما إذا توجد أموال غير  
منقولة لدى المذكورة أعلاه رجاء..  
مصرف رافدين الكوت / نرجو إعلامنا فيما إذا توجد أموال منقولة لدى المذكور  
أعلاه رجاء

ضابط - ل- كتابنا ١٠٨٥ في ٥/٤/٩٧٨ للعلم  
ضابط (٥) كتابنا ٢٤٠٩ في ٩/١١/٩٧٦ للتأشير..

\*\*\*

مديرية امن محافظة واسط

العدد // ٣٣٦ / ٥ //

التاريخ / ١٣ / ١ / ١٩٧٩

إلى / مديرية جنسية واسط / السفر

م / إلغاء منع

تقرر إلغاء المنع الصادر بحق السيد شمران يوسف محسن للعلم رجاء..

مقدم الأمن

مدير أمن محافظة واسط

مديرية أمن محافظة واسط

القلم السري

العدد ٦٠٢٠

التاريخ / ٨ / / ١٩٧٥

مديرية الأمن العامة - الشؤون السياسية / ش ١

م/معلومات

عشر بطريقة غير مباشره على رقم الهاتف ٧٦١٥٩٨٤ بحوزة الشيعوي فيصل سعيد علي الهاشمي ولدى مفاتحة أمن بغداد بخصوص رقم الهاتف المذكور بموجب كتابنا ٥٣٧٢ في ١٩٧٥/٨/٩ فقد أعلمتنا بكتابها المرقم ٤٩٢٩٨ في ١٩٧٥/٨/٢٣ بأن - الهاتف المذكور يعود للشيعوي شمران يوسف محسن الياسري موضوع بحث كتابنا ٣٧١٣ في ١٩٧٥/٥/٣١ مهنته صحفي في جريدة طريق الشعب مواليد ١٩٣٥ - واسط والملقب (أبوگاطع) للتفضل بالمعلومات رجاء ...

م. أول الأمن

و/مدير أمن محافظة واسط

\*\*\*

مديرية امن محافظة واسط العدد // ٢٤٠٩ //

- الجنائية - التاريخ ١٩٧٦/١/١١

إلى / محافظة واسط

م/معلومات

لاحقا لكتابنا ٢٣٠٦ في ١٩٧٥/٨/٢٨

بتاريخ ١٩٧٦/١/٤ قدمت الأوراق التحقيقية الخاصة بالمتهمين الموقوفين كل من حسن يوسف محسن والشيعوي دايع حمود فرج والمتهم المكفل شمران يوسف محسن إلى السيد حاكم تحقيق الكوت فقرر ما يلي:-

١- تمديد موقوفية دايع حمود فرج وحسن يوسف محسن لغاية ١٩٧٦/١/١١

٢- ربط المتهمين بالأوراق التحقيقية لمعرفة سوابقهم

٣- قطع إضبارة المعلومات الأولى وفق المادة ٢٩/أسلحه

٤- اعتبار هذه القضية خاصة بالمتهم دايع حمود فرج وفق المادة ٢١/م أسلحه

وفتح القضايا التالية

٥- قضيه وفق المادة ٣/٢٩ أسلحه ضد المتهم حسن يوسف محسن

٦- قضيه وفق المادة ٣/٢٩ أسلحة ضد المتهم دايج حمود فرج وتدون فيها أقوال

شمران يوسف محسن

٧- قضيه وفق المادة ٣/٢٩// أسلحة ضد المتهم شمران يوسف محسن. للتعفضل

بالعلم وسنوافيكم النتيجة رجاء.

م. أول الأمن

و/مدير أمن محافظة واسط

\*\*\*

مديرية أمن محافظة واسط

العدد / ٢٠٢٩ /

التاريخ ١٩٧٨/٧/١

إلى/مديرية الأمن العامة - م ٧٨

م/معلومات

سيق المدعو أحمد شمران يوسف الياسري شغله سائق حفارة لدى شركة فريد الأحمر من أهالي بغداد الجديدة - حي الأمين رقم الدار ١٠/١٠/٦٥ تولد ١٩٥٢ إلى خدمة الاحتياط وعنوانه محافظة التأميم رقم الوحدة / ٩٩ . والموما إليه من عناصر الحزب الشيوعي ومن أسرة شيوعيه والده شمران يوسف الياسري الملقب (أبوگاطع) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بغداد للتعفضل بالمعلومات والإيعاز بوضعه تحت المراقبة السرية لطفاً.

مقدم الأمن

مدير أمن محافظة واسط

نسخة منه إلى/-

مديرية الأمن العامة - ٤٥ - للتعفضل بالعلم رجاء.

مديرية أمن محافظة بغداد - للعلم رجاء.

ضابط أمن (٥) للتأشير لديكم.

\*\*\*

برقية سرية وفورية  
إلى / السيد مدير الأمن العام  
من / مدير أمن محافظة واسط

رقم المنشئ / ٢٠٧ / برقيتنا ١٩٠ في ١٩٧٢ / ٨ / ٢٧ (٠) في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٩٧٢ / ٩ / ١١ وصل مدينة الكوت قادماً من بغداد الشيعي شمران الياسري بسيارته المرقمة ١٠٢٦٦ بغداد نوع رينو وفور وصوله المدينة توجه إلى دار المحامي كامل الياسري ولم يجده هناك حيث توجه إلى دار السيد إبراهيم الياسري الواقعة في محلة المشروع وكان يحمل صندوقاً نجهل ما بداخله وحقيبة كبيرة ويقود سيارته المدعو فاروق افرام داود مسيحي الديانة يعمل في جريدة الفكر الجديد حيث أخذ يتجول داخل المدينة وبسرعة فائقة ولم يفارق سيارته إطلاقاً مما يُشك بوجود أسلحة أو قضايا حزبية بداخلها. بعدها توجه شمران والمحامي كامل الياسري بالسيارة المرقمة ٢٠٧ واسط إلى المحكمة واستقبلهم هناك المدعو ربيع الشمران بعدها توجهوا إلى شرطة المرور لتعقيب قضية إجازة سوق وفعلاً أكملت معاملته وأخذ يراجع دائرة الصحة واتفقوا أخيراً على مراجعة الدكتور رسمي الركابي بعيادته عصراً ثم عاد إلى دائرة الإصلاح الزراعي بعدها توجه إلى دار المحامي أعلاه لتناول طعام الغداء ثم ذهب إلى منطقة دور السلام لمشاهدة دار المدعو سيد عبد إبراهيم الياسري الملقب أبو حبيب وبعد جولة صغيره توجهوا إلى عيادة الدكتور أعلاه ومكثوا فيها نحو الساعة وفي الساعة الثامنة غادر الكوت إلى مدينة الحي وفور وصوله مدينة الحي توجه إلى دار المدعو كريم صكر الغريبواوي ولم يتصل بأحد هناك وفي الساعة ٧٣٠ من يوم ١٩٧٢ / ٩ / ١٢ غادر الحي إلى مدينة الكوت وعند وصوله توجه إلى مستشفى الكوت الجمهوري ثم إلى شرطة المرور لتعقيب قضية إجازته وبعدها قابل السيد مالك دنبوس الياسري وفي الساعة الثانية ظهراً توجه إلى قضاء النعمانية وقد اتخذنا ما يلزم لمراقبة وترصد تحركاته واتصالاته وسنوافيكم بالنتائج ببرقية لاحقة رجاء

نقيب الأمن  
مدير أمن محافظة واسط

## نماذج من كتاباته



## شجرة التفام البيضاء

كان اسمه معهد برلين الدولي للصحافة، اسمه الآن بالإنكليزية (كولج) وبالألمانية (شوليه) نتلقى فيه علم وفن الصحافة، لكن ماذا يعني كل هذا - إذا خاب مسعاي وفشلت في العثور على تركيب لغوي مُشجّع، استهل به وصف شجرة التفاح، كما هي الآن تتألق، تتوامض أزهارها البيضاء تحت نور الشمس!

التراكيب والألفاظ في ذهني مثل خيل العيد عند مشارف القرية، تتكرس وتتباعد، تمضي خبياً وعدواً، يمثل فرسانها أدوار الكر والفر، فتزغرد المعجبات والعاشقات الكاثات..

منذ أربعة شهور جلست ها هنا، ساعة وصولي من المطار مباشرة. ومن هذا الشباك رأيت شجرة التفاح مغطاة بالثلج. عبرت المسافة بين أيار وكانون، مررت ذهني على تلك الأيام، مثل أصابع الأعمى ليقرأ (النوتة):

تساقط الثلج.. وهطلت أمطار غزيرة.. وتسيل العصارة الآن في الجذوع والأغصان.. وتشعُّ أزهاراً بيضاء على هامة شجرتي الحبيبة، فتبدو مثل حسناء في مقتبل العمر، ترتدي بدلة الزفاف..

ألمّ بي شعور بالذنب، لأنني أغفلتها أيام العواصف العاتية.. ولم أتفقدتها بعد كل محنة - وما أكثر المحن في الغابة - وأحتويها الآن مزهرة، بعد أن خلعت رداء الثلج ولبست ثوب الزفاف المشع، وصارت مرتكزاً للنظرات، المختلفة في بواعثها ومراميها. ولكن يُخيل إليّ أن تأمل (روز) لا يدانيه تأمل في عمقه وصدقه، هذا مجرد انطباع، لم ينشأ عن رؤية ابتسامتها، إنها دائمة الابتسامة، حتى وهي تروي حكاية بيع أمها للرجل الأبيض بعشرة دولارات (في جنوب إفريقية) وتباع هي وعمرها سبع سنوات، بذات النبرة تتحدث.. وهي تصف عملها.. كمرضة في معسكر

للمقاتلين بـ (ناميبيا) .. ثم كيف وقع عليها الاختيار لملء الزمالة الصحفية الممنوحة من كلية التضامن للصحافة، في جمهورية ألمانيا الديمقراطية .. وتنتهي الدورة بنهاية تموز (لك ولها السؤال) .. وماذا بعد تموز؟ والابتسامة على وجهها مثل ما هي الآن، ..

\*\*\*

وكانت لي شجرة تفاح، لا تشبه هذه في وفرة أزهارها، ولكنها من غرس يدي، وكان العمر في بواكير ربيع مزهراً .. تتوسط بستاني الذي أتحرك بين أشجاره بحرية، وأشعر أنني أمتلك حق استبدال شجرة بأخرى، أنقل هذه مكان تلك، أو أزرع واحدة جديدة .. وكنت أظن هذا الشعور وحده سبب متعتي .. الآن فقط، أدركت سر المتعة: يكمن في العلاقة الإيجابية بيني وبين الطبيعة .. هو الجذر الذي يربط الفلاح بأرضه .. وبين امتلاك الأرض والعلاقة الإيجابية كالذي بين هذه وتلك .. اخترت المجلس جوارها، ولفرط محبتي أبعدت عنها (المنقلة) ثلاثة أمتار - تقريباً - كانت النار تتوهج و(الكتلي) يواصل أزيه مثل ناي يُجرّبه صاحبه خلسة .. وشاع في المكان أريج الهيل من (القوري) .. وكان صديقي متكئاً على حقيبته المربعة، وقد احتل ثلاثة أرباع البساط - أحسب أنه كان يستمتع برؤية أزهار التفاح - وفيما هو يتحدث عن مشاريع المستقبل، بعد التخرج من الكلية، أنهينا شرب الشاي، دون أن نفطن لطعمه اللذيذ ورائحة الهيل المسكرة .. وقال أن عطلة نصف السنة تنتهي بنهاية الأسبوع - وغداً (أو بعد غد، إذا أصرت أُمي على استبقائي ليلة أخرى) أغادر الريف إلى بغداد .. تلفت إلى كل الاتجاهات .. ثم همس: إن الحقيبة ومحتوياتها هدية لك .. كانت مليئة بالكتب والكراريس .. انه لقائي الأول مع هذا الصنف مما يُقرأ .. كان بعضها سهلاً وبعضها الآخر صعب عليّ استيعابه منذ القراءة الأولى .. وأمتلأ رأسي بأسئلة جديدة .. وأتذكر جيداً أنني كنت قرب شجرة التفاح، في بستاني، حين ارتفع الصراخ في طرف القرية .. وكانت الفجعية حادة .. لكن (سين) لم تترك مجالاً يركن إليه الخيال عند التأويل .. فقد شهد المنظر أكثر من شاهد وشاهدة، وسمعوها تقول:

- أنه اللي صبّبت النفط على هدمي .. وأنه اللي أشعلت النار ..

ما دام اللي أحبه ما خلوني أعيش وباه طول العمر .. شسوي بالعمر؟! وانوب يريد أبوي يجوزني لواحد أكرهه

حدثت زوجتي أن الحادث يعقبه، بعد ساعات، حضور الشرطة للتحقيق، وأن المتاعب سهلة الحضور.. ومن الحكمة أن تخبئ الحقيبة - إياها - . ولا أتذكر لماذا ارتديت ملابس السفر وركبت أول سيارة على الطريق.. وبعد وصولي إلى المدينة انهمر مطر غزير، حال دون عودتي لأسبوع.. وبعد عناء أقنعنا سائق (الباص) وعدنا، ندفع السيارة مشواراً ونركبها مشواراً آخر، وقد أدميت قدماي.. لكن تجاوز هذه المصاعب سهل على الشباب.. وتزول كل المنغصات عقب لحظة فرح، تخلقها ضحكة الطفل أو دعابة الزوجة، وهكذا كان، وتذكرت بعد العشاء كتبي وكراريسي.. عرفت أنها ما تزال خبيئة في البستان، وتسللنا زوجتي وأنا بين الأشجار.. أما كيف ولماذا وقع اختيارها على إخفاء الحقيبة تحت شجرة التفاح.. ذلك شيء لا أدريه، اكتأبت زوجتي حين وجدنا الرطوبة قد تسللت إلى أوراق بعض الكتب.. وقدمت عذراً ما كان له لزوم..

\*\*\*

يقترب صوت عربة اليد، على الممر الكونكريتي المحيط ببنية الكلية، سرعتها تنبئ أن الذي يدفعها (بتكورا) حارس الباب ومسؤول الاستعلامات، وراعي الحديقة ومشغل السخان المركزي للبنية، وفاحص الكهرباء وأنايب الماء، ومصلح كل خلل في الأبواب وخزانات الملابس.. ولم يره أحد منا عابثاً.. أو متضائلاً من العمل الذي بين يديه.. إذا نزلنا المطعم لتناول الفطور يكون (بتكورا) قد انتهى من تناول وجبة الصباح وخرج إلى العمل يحمل زجاجة أخرى من البيرة. بلغ المكان المقابل لشباكي. لم تحجبه عني شجرة التفاح المزهرة، لاح رأسه الأشيب مثل فرشاة مصنوعة من الفضة الخالصة. ابتسم! ل(روز) وحياتها بحركة رأسه. ضحك زميلي عبد الإله أحمد (ملك النشاط) ثم وجه كلامه بصوت واهن إلى مأمون عثمان، كأنه يحتج:

- ما اتكلي هذا اشكد يشتغل؟!

هذا غضب مال الله.. لا أيجل ولا يمل من العمل!

أجابه مأمون - بجد-:

- ياول، إذا صرت بكد عمر (بتكورا) أكيد تحتاج لك واحد يگعدك بهيج عريانه، ويوصلك دفع من البيت للكهوة ومن الكهوة للبيت.. وحرکت روز رأسها، ترد تحية بتكورا، وابتسامتها مثلما كانت قبل مقدمه وقطف

الزميل الغاني (اموا) زهرة من شجرة التفاح، ثم واصل سيره الوئيد.. وهز رأسه يحيى (شبه الرحمن) الذي يبدو وكأنه يحمل على كتفه هموم سبعين مليون (بنغلاديشي) وعلى الكتف الآخر حكمة الهند التاريخية.. وعمر الصومالي يطيب له الجدل مع راسم الغزاوي.. وناصر سرور العدني.. وخطط الحب الذي يصلني بشجرتي الحبيبة يمتد، ويمتد بلا انقطاع، فيشكل نسيجاً متناسقاً يغطي مدى الرؤية.

- نقل فؤادك.. أجيل الطرف بين برلين وبغداد.. وكانت برلين صباح هذا اليوم حديقة قرنفل أحمر.. وشجرتك البيضاء، بيضاء، إنها مزهوة بتاج الأزهار، بلا غرور، يا رجل.. ألا تفرق بين الزهور والغرور، وبين الفرح والعريضة؟ لو قدر لك أن تعطي عشر عطائها لأصبحت ملك الغرور لزمانك.. إنها متكبرة دون أن تعلن كبرياءها.. إذا اتخذ الكبرياء.. (دعك من هذا.. وقل لي ما هو اسم سايغون الآن)؟ كم كان عمرك قبل ثلاثين سنة؟ ما هو عمر شجرتك المزهوة المتكبرة.. والمتواضعة.. ما الذي أقحم عليك هذه الأسئلة الرصاصية؟!

الآن غادرني معظم الزملاء في جولتهم المعتادة عصراً.. اعتذرت لمحمد الشامي.. الذي ألح.. فقال صالح الدراعاوي، بدعابة محبة:

- سيبوه.. سيبوه.. عامل حاله درويش.. الله يعين اللي يعينه!  
لقد غادرني الجميع، أعرف مذاق الوحدة وقد جربت تغيير طعامها.. مثلما صرت أعرف لذة العيش مع الآخرين، أميز أريج الألفة، عن بعد. الآن لكل واحد لازمة تحب سماعها أو ترددها مع نفسك في غيابها.. يا لدكان البقالة.. أشكال وألوان.. سدى ولحمه. أين يومك من الأمس؟ وغدك الأفضل.. أليس بمقدورك اختزال الانتظار، حتى يجيء الأفضل؟

في زمن التوحد جلست ها هنا. تطلعت إلى شجرة التفاح - مكسوة بالثلج. كانت أول من طالعني. يومها أدت عيني، أتفحص أركان غرفتي هذه وأعد محتوياتها. كنت قد ارقمت على الكرسي، ولم أخلع معطفي.. ووزعت النظرات بين شجرتي المتلفة بالثلج وجدراي غرفتي الدافئة، فاحتوتني همومي بمواجهة الغد وحيداً: سبعة شهور في غرفة واحدة مع اثنين لم أتعرف عليهما من قبل، أستيقظ على جرس الفطور. والمحاضرات في لغة لم أجربها إلا مع نفسي، على استحياء، والامتحان هو

امتحان، في أي أمر. ولك أن تطمع بأفضل النتائج لكن الأفضل هو الأصعب.. أسهل لي، الآن، في لحظتي هذه، أن أعود، إلى قريتي، المبالغة في تواضعها، أجوب أزقتها حافياً مع أقراني وكنا نعتقد أنها مترامية الأطراف. وجاء يوم، قطعت الدرب الذي يقسمها إلى قسمين، وخلفتها ورائي، تحيطها العين بسهولة، أحمل الخبز على رأسي، وكان والدي يحرق حقله بعيداً عن القرية. عنفني بقسوة على نزوتي:

- كنت في نظره أصغر من القيام بهذه المهمة، واسمعي لومه لأمي.. كيف سمحت لي بقطع درب كهذا؟ وعدت أروي ما شاء لي خيالي، عن أخطار الرحلة.. وماذا قال أبي.. وكان الهدوء الذي يطبع أمي يغري على الاستمرار في سرد حكايات لا تنتهي!! وعبرت (الحادثة) إلى سواها وتأملت أمي بإعجاب وهي تصلي، وقد تلفعت بفوطة الصلاة البيضاء.. كانت ترقب الشمس في لحظات غروبها. تتلو أدعية كثيرة.. يمتلئ سمعي الآن بواحد من أدعيتها المخصصة للغائب من أفراد الأسرة:

- مسية العافية عليك يا فلان.

توهمت أنها تدعو لي بالاسم:

- مسية العافية عليك يمه يا شمران..

اغرورقت عيناى بالدمع.. تراءت لي شجرة التفاح تتماوج، مثل شراع زورق وسط الهور المستنفر.

لقد حوصرت الآن.. إذا لم تسقط هذه الدمعة المعلقة سيمتلئ فمي بمرارة الحنظل.. رددت أول بيت صادفني من شعر البنات، على نغم اختارته لي الكآبة:

والله ما حطلك نار      ظل حب يا جدري

وألما دراش يلوم      واليسري يدري

سمعت صوتي منفرا، بدا لي مثل ضحكة سمجة في مأتم مهيب. لملت أطراف الكآبة. استعنت بشجاعة كانت في حالة خدر ثقيل.. اعتزمت الانتفاض على ما أنا فيه. لكن المناخ لم يكن ملائماً. إنه الفطام الأول. واعرف بعد الفطام ما تسميه المرضعات (الرده) يتراءى الرضيع الفطيم وكأنه نسي الشدي.. فإذا به بعد شهور يتململ، ذات أمسية وينفجر بركان حنينه.

\*\*\*

كان جدي يملك سبعة عبيد وعشر وصائف.. في صباي المبكر رأيت واحداً منهم، دخل اسمه في مآثورات القرية، فكنت أسمعهم: (مثل سفرة مبروك) وقابلت (مبروكاً) شيخاً يتحدى السنين بقوامه النحيف المكدود، وقد أضفى شعره الأبيض على لون بشرته السوداء حدة. كان يقيم مع أولاده في البصرة.. يلجم الحنين لأمد قد يمتد لعام، فإذا تغلب عليه جاء إلى الربوع التي أمضى فيها أيام صباه - رغم قساوتها - عله يرطب ذكريات الشباب مع من بقي على قيد الحياة من أهل القرية، علّ عودا يخضوضر بعد بباس!! وسألته أن يروي الحكاية - المأثورة عنه -.

- يا عمي چانت الدنيا دنيا..

زروع وفروع سلطنه ومرننه..

ورا العشى كال لي جدك بأچر تروح للحي عدنا شغله مستعجلة.

آنه هم ما چذبت خبر گبل الفجر شدیت على فرسي ورحت للحي.. وصلت گبل طلعة الشمس.. ولكن تذكرت. - ذیچ الساعة - آنه ما سألت جدك شنهی الشغله؟! انه (الدسبلین) الأعمی!

كان جدي... (دع جدك مستريحاً.. یرقد في قبره بسلام.. لا تلاحق بمتابعك الأحياء والأموات..)

\*\*\*

جلست على حافة السرير. بقايا أزيز محرك الطائرة يتردد صداه في رأسي. استدعي السلوان بأية وسيلة. فتحت زجاجة من شراب العراق، لم أحس طعمه المعهود، ومع ذلك اثنني وأثلث. صرت الآن مثل فلاحه أرملة، تتردد بين فتح (السفط) الذي يضم حلي عرسها وبين طي صدرها على هموم متآلفة.. فتحت سفط الذكريات مترددا. حاولت لظم العقود المنفرطة، على هواي فجاءت على هواها.. أول الخطوات على درب الصبا، فاجأني عند مشارف القرية صديق الشباب (عباس صالح) ترجل عن مهرته. وازن (عباءة الحشيش) التي مالت جانبا. احتضنني بحرارة وقال بلهفة:

- آخ لو شایف ضحجة (زهراء) اليوم تفك المصلوب!!

لقد أساء ضحكها (اكتشفت ذلك بعد فوات الأوان) كانت تضحك للحياة توزع الفرح على المخلوقات. فبعد شهرين تزف إلى من تحب ويحبها ذلك أمر لن يتكرر كثيراً في القرية فمعظمهن يرغمن على الزواج، حسب إرادة أولياء الأمور..

وغادرت حوفة العرس، فجر اليوم الثالث، لتجلب الماء التقليدي من النهر - وكان عباس الصالح على الطريق فرأى ابتسامتها أكثر إشراقاً ورأى ثوبها يخفق فرحاً، والجرة مستقرة على رأسها بانحراف يثير الغيرة.. وتشكلت الصورة في ذهنه: إن ابتسامتها وخفق ثوبها ووضع الجرة جانباً، كل ذلك مصنوع للشماتة والتشفي.. فرد على هذا التحدي بإطلاق فرية أخلاقية ضد (زهراء) تلقفتها السنة حادة، حركتها بواعث متباينة، فأسفرت عن طلاق زهراء (بعد حين) وتعكر صفو بيت وتسممت حياة ثلاثة، كان من الممكن أن يعيشوا في صفاء، وكان من المحتمل ألا تكتوي (حبابه) (بكر زهرا) بنار العيش في كنف زوج الأم.

- بعد خمس سنوات يصحو ضمير عباس الصالح - فتؤرقه فعلته ويعايشه الشعور بالذنب ليل نهار.. يود لو يكفر، لو يصنع شيئاً - في الأقل - لإسعاد (حبابه).

لا أتذكر، الآن، عند أية نقطة توقفت. نمت ليلتي بلا أحلام. وجرى تيار الهواء العذب عبر الشباك.. وملأت رثتي بدخان (البايب) المعطر.. بلغت الآن ذروة الاستمتاع بمنظرها. أحس نشوة عارمة، لعلها نشوة الانسجام، مع النفس. وأنت معرض، في لحظتك، لانبثاق السؤال: وغدا تساقط كؤوس الأزهار، لتحل مكانها عُقد الثمار.. وتكون قد نزع ثوب العرس وانشغلت بشمارها، مثل كل شجرة تفاح فماذا أنت صانع أيها المدهوش المأخوذ بسحر أزهارها المتعقدة؟

ومثلما يعيد عاقد المهر سؤاله على الفتاة، ثلاث مرات: (هل قبلت.. ) أعيده على نفسي الآن:

أيهما تفضل يا ترى، لو كان بوسعك استعارة دورة الحياة، أو كنت قادراً على شل فعل الطبيعة، هل تبقى شجرتك مزهرة هكذا حتى النهاية، تتمتع بمرآها وتجلو لك النفس متى تشاء، أم توافق على أن تتحول كل زهرة إلى تفاحة.. وتصير كل تفاحة في يد؟؟

أتفيء ظلها لأحتمي من حر الظهيرة. وتعبير الأنسام ناعمة ندية فيرق المزاج ويزداد النظر حدة، فأميز ثلاثة ألوان وبينهما ظلال على التفاحة الواحدة.. وانطلق متغزلاً بأكثر التفاحات رواء وأكبرهن التي أمالت الغصن اللدن، تراءى أقرب الأوراق

إليها، حين تداعبها نسمة عابرة، مثل مروحة تتحرك قرب وجه حسناء ناعمة، يتلألأ ماء النضارة من بشرتها وتنضج منها الحياة، مع كل دفقة نور تمسح جبينها برفق..  
ألذ التفاح الذي لم نأكله بعد.. وأي شجرة أقدر منها على عطاء مثل ذلك التفاح الموعود؟ أتخيل أزهارها وقد تحولت إلى تفاح ناضج، أراها بعين خيالي متشابكة الأغصان، مكتظة بالأوراق الخضراء الداكنة، والتفاح موزع بالتساوي، ويبدو على الشجرة وكأنه سرب من عصافير الجنة أحاق به خطر داهم فاحتمى بها ولزم الهدوء..  
أنفيء ظلالها.. أقطف أقرب واحدة، في لحظة نضجها، من فرط كسل، أو قد أكون بلغت ما أسعى إليه، وما الذي يحول بيني وبين التسامي؟  
أقطف عامداً أصغر واحدة ناضجة، أدعو من يقطف الكبيرة، في لحظة النضج..  
قبل فوات الأوان.

\*\*\*

.. بالأمس قالت مديرة الكلية (السيدة سونيا بري):  
- مستر ياسري.. حين تعود إلى وطنك، وتعاود الكتابة في جريدتك، أتمنى الاطلاع على كل ما تكتبه عن تجربتك في كلية التضامن، وحول جمهورية ألمانيا الديمقراطية وتجربتها - ولكنني أريد وألح على أن لا تفوتني كل ملاحظة (انتقادية) فلا بد أن هناك أشياء لم تعجبك.. هذا شيء يهمني.. وإن لم تعجبك حدائقنا وأشجارنا.

\*\*\*

- حسن.. أيها السيدة المحترمة (سونيا بري) هذه ملاحظاتي (الانتقادية) لواحدة من أشجاركم.. وإذا ما وصلتكم نسخة الصحيفة ووضعت على اللوحة المخصصة في مطعم الكلية.. وإذا ما هرع بعض المشاركين الجدد، أو شغيلة الكلية، لمعاينة شجرة التفاح، الموصوفة، وأظنها ستكون ملفعة بالثلج، وأظن هذه النسخة، حسب تجاربي مع البريد ستكون عندهم، عشية عيد رأس السنة (كل عام وأنتم بخير) فرجائي أن تكون نظراتهم عبر شباك غرفتي.. وإلا.. تعرضت للظلم (شجرة التفاح البيضاء)!

## حدث هذا في مملكة الضبم الأكبر

(العنوان كما عرضه قائلاً أترك لكم التقدير والتقرير أو سوء أو حسن المصير!)  
كان مقدراً للحكاية أن تُنشر قبل الحرب العراقية-الإيرانية (قادسية صدام) ولكن لأسباب لن أذكرها الآن حتى لا تؤثر على أحكامهم، تأجل النشر، والآن يبدو لي إن جديداً قد استجد جعلها بنظري غير ملائمة بشكلها الحالي، أقصد الحرب العراقية-الإيرانية، فما الذي نضيفه أو نحذفه أو نكبه بالزبالة!  
يقول النص:

سكونٌ يبعث التوتر، لا يخفف من حدته طرق حوافر الدوريات في ممرات الغابة ولا خفق أجنحة الأسراب المستكشفة، تتراءى الأشجار مرغمة على كتم أنفاسها.. والنهر صاف بالقسر والقوة، فمن غير المعقول أن أعماقه خالية من الشبوط الذي يعاكس التيار عادة.

ويمتلك المشاهد يقيناً بأن الغابة بانتظار نجم يلوح في عز الظهيرة، إذا أطلق المرء لظنونه العنان أو إذا أطلق ظنونه من العقال، فقد يرتكب خطيئة إصدار الأحكام المنطلقة من الذات وحدها لا شريك لها والعياذ بالله.. إنما وهذا هو الموضوع التام الذي لا يتناطح فيه ولا حوله كبشان سمينان، بأن الوضع أو كما يقول المغني: الوضع.. الوضع.. (ويبدأ هنا بالغناء).

بأن من المؤكد أن الوضع في غاية التعقيد وأن الأمور تجري بأعجوبة حد السماح بالقول معجزة ألا تتشقلب (أي تنقلب) أمور الغابة، أهى بالسحر مجراها فأين إذن مرساها؟  
لقد قال دعاة التعقيد المبالغون، الذين يولون الصغائر اهتماماً أكبر من حجمها: إن الطاغى على السطح والظاهر لكل عين لا يشكل من الحقيقة إلا نسبة ضئيلة تعادل أذن الحمار قياساً "إلى كل جثته".

إن دولة الضبع الأكبر تحتضر وها أنتم ترون الذئاب تنهياً (والما يشوف بالمنخل عمه العماء).. قال احد المبالغين المتحذلقين الذين يقرؤون جريدة العائلة كل صباح: انظروا ما وراء هذا الذي يجري.. إنه تقصير مقصود يُراد منه بلوغ الأمور ذروتها، وحين ذاك تستطيع أن تقطع بالغصن الرطيب (كلام جميل)!! وقال أكثرهم تطيراً، وهو يشير إلى مقالتي الموفقة المنشورة بتوقيع (حمار) في جريدة العائلة صباح هذا اليوم: يا أهل الغابة لا تتطامنوا إلى تفسيرات هذا الحمار وكل الحمير، لأن هذه المقالة أريد بها دغدغة عواطف المعز قبل البقر.

إن هذه يا أهل الغابة، ذروة النعامية في السياسة وهو إذاً لعب زمايل على حساب الحقيقة التاريخية المنزهة عن كل إخلال متعمد.

وقال دعاة التبسيط لا تتهموا أنفسكم نبشاً عن جذور لم تنبت بعد في تربة الواقع ولا تعقدوا السهل الذي يسره الله ابتغاء جعل السياسة حكراً على القرد والشعالب وبنات آوى من بطانة الضبع الأكبر، لكن كانت البداية لهذه الأزمنة يا سادة يا كرام عفطة غراب.. أما مرتجل الموضوعية مثلي فهو المؤهل لكتابة تاريخ الكلمة في حقبة الازدهار التي رافقت تولي الضبع الأخطر لسدة الحكم، وبقلم نظيف جداً يقول الموضوعي والذي لا بد أن ندعوه لشدة تمسكه بالموضوعية ندعوه (أبو موضوعية) على طريقة العراقيين: (أبو علي وأبو حسين وأبو زهرة وأبو كاطع).

يقول أبو موضوعية: إن الأمر لا يخلو من ذاك الذي بلغنا ومن هذا الذي نسمعه، والحقيقة هي إن هذا الغراب بالغ يوماً" في أداء واجبه: مد عنقه لأقصى حد ثم دفع جسمه نحو الأسفل بعد أن أحكم مخالبه في الغصن وذلك من أجل التنصت الجيد وسماع همس المجتمعين تحت الشجرة على نحو يمكنه من كتابة التقرير (مضبوط).. وحين فاتته عبارة من متحدث عدل وضعه وراح يزحزح مخالفه بحذر كما تمشي (أم أربعة وأربعين) في محاولة لبلوغ طرف الغصن، في تلك الأثناء انكسر الغصن وسقط الغراب بين الفروع فأحدث خفق جناحيه وقماسهما بالأوراق، صوتاً أفزع الغزلان المجتمعين، وعندما اكتشفوا أمر الجاسوس العريق، أو لنقل (الجاسوس ابن الجاسوس) أخذوا يضحكون شماتة، وقال الغراب مداراة لخنجله، عفوكم أيها الأخوة، لقد غفوت على الغصن واكتشفت الآن أنني أسير في نومي ولا بد أنني سرت إلى نهاية الغصن

فوقعت.. فبالغ أحد الغزلان لأغراض في شماتته ورد على الغراب.. نعم يا أخ، ثم أردف شتيمة أي فشورة (أي يا أخ.. الكذا) فسمعها الغراب فأسرّها في صدره ضغينة وحقدًا على كل جيش الغزلان وقدم تقريراً بلا وجدان ضد المساكين الغزلان. قال في تقريره للضبع الأكبر وهنا أتوقف لأشرح لكم كيفية أن يحدث أن جاسوساً حقيراً مثل الغراب أن يكتب مباشرة إلى الضبع الأكبر.

شيء يثير الانتباه! والقصة طويلة عليكم. كان الضبع الأكبر حريصاً على تسيير شؤون المملكة وتوفير الأمن والاستقرار، بطريقة نموذجية، فقرر أن ترتبط بمقره مباشرة مديرية الأمن العامة وفيما بعد أغرته تلاوة التقارير، استمرراً هذا النوع من الاطلاع المباشر على كل أحوال الأقضية والنواحي (وما أطوله عليكم)، قرر أن يطلع على كل تقرير حتى لو كتبه جاسوس نفر مثل هذا الغراب.

كتب الغراب في تقريره للضبع الأكبر:

سيدي ملك الأجلاف وسليل الجياف الذي تخسأ عن الإحاطة بدونيته كل الأوصاف. سيدي لقد كان مشروع قانون الرواتب والمكافآت الذي أصدره فخامة جلالته، هو محور الجلسة السرية المريبة التي عقدها الغزلان وسوف أروي ما سمعته بالحرف.

قال رئيس الجلسة، في هذا القانون نزعات عنصرية، بمقدار ما يحوي ماء البحر من الملوحة، ولن أكثر عليكم بالأمثلة وأقربها حادث الأمس، أعني به قصيدة الثعلب الذي مدح بها الضبع الأكبر فقال أعطوه غزالين، تصوروا غزالين للثعلب!! (قندرة غزال واحد تشرف مئة ثعلب).. تصوروا غزالين مقابل تلك القصيدة الجائفة كما يقول الآدميون، وكما يقصدون المعنى حرفياً والثعلب الحقيّر ما ارتفعت أحلامه يوماً" عن أرنب مريض أو بليد.

للتوضيح استطراداً " قليلاً" كان مطلع القصيدة:

تضوعت الآفاق من جيفة ضبعنا

وأفعمت الأجواء من فيها النتن

في عالمنا نحن الآدميين قد نعتبر شعراً " كهذا من أنواع الهزل. ولكن عالم الغابة له لغته ومقاييسه الجمالية ومواصفاته للمدح والذم، فمثلاً" بعد استيلاء الضبع على السلطة، صار تشميت العاطس: جئف الله فمك بدلاً" من يرحمكم الله وصار يقال

شعرا" ونشرا" (الجيفة من شيمنا) إذا كان البشر يقول الواحد منهم للآخر في المحاورة طيب.. طيب. وبعدين، ففي الغابة يقولون جايف.. جايف.. وبعدين عموما" وكلمتا تعززت سلطة الضبع الأكبر، سادت الأخلاق الضبعية، حتى أصبحت اليوم عادة التسلي بالعظام مثلما يسبح الآدميون بمسبحة(اليسر) أو (الكهرب).. فالحيوانات كلها تتسلى بشدة عظام يخضخض به حتى في حضرة الضبع الأكبر.

نعود إلى تقرير الغراب الذي ورد فيه:

قال أطول الغزلان قرونا": لا تضيعوا الوقت، ادخلوا في صلب الموضوع مباشرة، وأشار إلى غزال صغير دقيق، اقرأ يا ولد، فقرأ الغزال الصغير الرقيق المادة الرابعة، كانت تنص على أن الراتب الشهري للضبع من الدرجة الرابعة خمسة عشر أرنبا بما فيها غلاء المعيشة، فإذا رُقّي للمرتبة الثالثة صار راتبه عشرون أرنبا مع غلاء المعيشة كذلك، والآن يقضي التعديل المقترح للقانون بأن يصبح راتب الضبع من المرتبة الثالثة خمسة وعشرون أرنبا وأربعة غزلان شهريا فماذا يعني هذا؟ ويمضي الغزال في تلاوة مشروع القانون ويستفسر بعض الحاضرين عن تعابير فنية فيجيبهم عليها (وهنا يختصر القراءة ليعود إلى أصل الحكاية قائلًا) لنعود الآن إلى التقرير:

ثم طلبت أكبر الغزلان جسماً حق الكلام، فقالت أولادي، أخواتي، أخواني، لقد صدرت قوانين كثيرة مجحفة، شملت بعض سكان الغابة ولكنها لا تُعد شيئاً على المدى الأبعد بالنسبة لهذا القانون العنصري، فقانون السباحة والغسل مثلاً ضايق الذين شملهم ولكنه لم يُعرض تلك الأصناف ولن يُعرضها للفناء. وكذلك قانون السباق وقانون الإعلام.

هنا أرى من المناسب أن أقرأ لكم الهوامش المثبتة على القوانين الثلاثة المذكورة.

#### هامش رقم (١)

نص قانون السباحة والغسل في مادته الأولى، على أن كل من غسل ثياباً وأراد تجفيفها أن يرتديها ثم يُعلق معها على حبل الغسل، حتى تجف تماماً، ونصت المادة الثانية، لا يجوز للمستحم، من الطيور أن يجفف ريشه على الأرض أو وهو طائر في الفضاء بل يجب تعليقه كذلك في حبل الغسل، واعتبر المراقبون يومها إن هذه المعرفلات، في طريق النظافة، عمداً وقصداً يراد بها إشاعة الجيفة في المملكة.. أما

صحف النظام فقد بررت هذا الإجراء بقولها: هكذا تكون المساواة وإلا فلا؟ ما معنى أن تسبح الجاموسة عشر مرات في اليوم ولا يسبح الجمل مرة في العام الواحد!

#### هامش رقم (٢).. قانون السباق

نص قانون السباق على أن تجري الخيل إلى الخلف ويجانبهما الحمير تركض إلى الأمام، حتى تكون النتيجة دائماً "لصالح الحمير ولصالح المراهنين على الحمير". ويذكر بهذا الصدد إن بطاقات المراهنة على الحمير تباع من شباك خاص ولا يحق لأحد أن يصل إليه ما لم يكن من أسرة الضبع الأكبر.

#### هامش رقم (٣) نص قانون الإعلام والإنصات على الآتي:

جميع تعديلات القوانين، يجب أن يصغي إليها سكان الغابة وأرجلهم إلى فوق وقد تسبب ذلك في جملة مشكلات بعضها، مشكلات فاجعة السلحفاة مثلاً، إذا أذيع تعديل لقانون من القوانين، تنادي على الجيران ليقلبوها على ظهرها! فإذا تم لها سماع القانون (عن خير وبركة) يعود الجيران حتى يقلبوها (يقلبوها) بالعدل. وكنا نقول في القرية أسويك ركة شلب (سلحفاة رز)، أي إن الركة بالشلب وهو بعده صغير وهم تأكله (بمشيتهه تركسة بالطين) فماذا يعمل الفلاحون: يشيلون (يحملون) الركة ويقلبوها (يقلبوها) بالعكس ولا تستطيع تعديل نفسها حتى تموت.

وتعرض البعير لعقوبات مشددة جراء تطبيق هذا القانون فهو حين ينقلب على ظهره تؤلمه الحذبة (السنام) فيروح يرغي، الأمر الذي يجلب انتباه رجال الأمن ثم يعتقدون أن البعير يحتج على قوانين مملكة الضبع الأكبر. معروف لكم أن البعير سخي في رغائه ومعروفة لكم نكتة الخضيرى الذي قال: (هذا يمكن بعير (ديزينو) أي يحلقوه!)

لقد تسبب على العموم تقرير الغراب، غراب البين الحقير، في هياج الضبع الأكبر حد فقدان توازنه واتخاذ قرارات خطيرة، ما سبق لضبع من ضباع العالم أن اتخذ مثلها، منها على سبيل المثال لا الحصر، تطلق النار فوراً على كل ثلاثة غزلان فأكثر يمشون معاً.

قرار بتقييد الخيل يد مع رجل من خلف.

قرار بأن تُسلم الطيور ريشها نهائياً إلى دوائر الأمن وتستلمه بعد مغرب الشمس. وقرارات اقتصادية عقابية لا حصر لها، وإجمالاً (كلمات مسوحة) لقد كان يشرف على

إذاعة أغنية يعرف موقعها في قلب عظمة الضبع الأكبر، عل وعسى تنفرج أساريه قليلاً ويتخفف من حالة الكآبة والهستيريا، تلك الأغنية التي ألهاها الحمار مرة في جلسة أسرية خاصة ويومها أبدع وأجاد. إذ كان في مزاج حماري رائق لا نظير له، بسبب من أنه كان قد تجاوز منذ عهد قريب مرحلة الجحوشية، أي أنه ما يزال في عنفوان (الحرمة)، وكان الربيع سخيا فصل ذاك، ويتذكر وزير الإعلام إن فخامة الضبع الأعظم قال عن الأغنية (هذا رائع).. وتقول كلمات الأغنية:

أجلبنك يليلي والدمع بعروور  
اجمعنه واحطه شجار للتنور  
أسد زاغور يطلع لي ألف زاغور  
وكل زاغور مفتوحة (نبالينه)!

ومع ذلك لم تنفرج أساريه الضبع الأفخم وهو يسمع أغنيته المحببة، وظل الحال على هذا المنوال، والتوتر يتصاعد بصمت، حتى أعلن ذات صباح من شبكات الإذاعة والتلفزيون، وأبرزت الصحف المسائية ذلك الخبر المثير على صفحاتها الأولى ومفاده: إن الضبع قرر تأجيل القيام برحلة الصيد الفولكلورية إلى أجل يعلن في حينه. ورغم كل التعتيم الإعلامي فقد نشرت بعض وسائل الإعلام في الغابة المجاورة، إن التأجيل قد حصل بسبب اضطرب جبل الأمن.

ماذا تعني رحلة الصيد الفولكلورية؟ خلي نشوف أهميتها طبعاً من نتائج الرخاء المفاجئ الذي عم المملكة، صار (عظمته) يتعرض لنوبات من الملل نتيجة الرخاء (خير واجد وشغل ماكو) ففطن أحد المستشارين إلى هذه الحالة ونصحه بالتالي:

الناصح هو أصغر المستشارين القرد الشمبانزي، العودة إلى الحياة البدائية نوعاً ما، فأمر عظمته حسب توجيهات المستشار ببناء قرية مثل أية قرية بشرية، وفيها كلاب كثيرة تحرس البيوت، مثل قرى الرعاة والفلاحين، ثم أمر عظمته بوضع فطيسة حمار نافق عند مشارف القرية، تتعارك حولها الكلاب الشرسة، وفي أثناء ذلك يسطو مثلما كان يفعل في الأيام الخوالي، ثم يهجم فجأة يقطعق بأسنانه ويخطف أكبر عظم من الفطيسة بخفة، ثم يولي الأدبار فتطارده الكلاب على البعد، وهي لا تعرف أنه

صاحب العظمة، الذي قام بهذه الفعلة، ولقد وجد الضبع الأكبر في هذه المغامرة أكبر تسلية فصار يكررها بعد أن تتخذ الإجراءات الكافية لتنفيذها بنجاح حيث تخبأ كاميرات التلفزيون في كل منعطف من طريق الضبع وتنصب قرب الفطيسة في حفر مستورة ثلاث كاميرات تلفزيونية، لتصوير لحظة اختطافه للعظم، وصارت تذايع الوقائع في التلفزيون صبيحة اليوم التالي على القنوات: أبيض وأسود وملون. وكانت وسائل الإعلام تصف رحلة الصيد هذه، بأنها إحياء لأمجاد الآباء والأجداد، لكن أحد المحررين النابيين في صحيفة العائلة المركزية، قال عن رحلة الصيد هذه بأنها تعني فيما تعني من معان سامية، لا حصر لها ولا عد لها، بأنها تعني الحفاظ على الفولكلور، وقد وقعت تلك التسمية في قلب عظمته موقع القبول والرضا، فأمر بأن تسمى تلك العملية رحلة الصيد الفولكلورية السنوية.

والآن لأول مرة بعد عمر مديد ونضال مجيد يقرر عظمته تأجيل القيام برحلة الصيد الفولكلورية فماذا يعني هذا!؟



## من بغداد إلى برلين

كتب المرحوم (أبوگاطع) في العدد ٢٢ من مجلة (الثقافة الجديدة) عدد شباط - آذار ١٩٧١ تحت عنوان (من بغداد إلى برلين / غنم الشيوخ وثروة أبوگاطع)، عن رحلته إلى ألمانيا الديمقراطية للعلاج مع السيدة زوجته.. ومع أن الموضوع طويل بعض الشيء، لكنه يحمل حلاوة ترتبط بالشواهد التي وردت فيه.. وهي تصلح لأشياء تحدث الآن لرجال وأنظمة وسياسات.. وربما كانت إعادة نشره بعد أكثر من ربع قرن، محاولة لتعريف القراء (الشباب) بواحد من كتب في البيئة ومنها ولها.. والله أعلم.

\*\*\*

من كان (القاموس) عدته في رحلة تحصيل الإنكليزية، واستظهار المفردات وسيلته لتركيب فقراتها، فتصور أنك هو، فتنبك على القاموس متابعاً مفرداته، تقلب الصفحات بحذر.. ولكن صوت السجان، وفي هدأة الليل، ووحشة الزنانة، يقطع سلسلة الاستظهار، ومن فرط مخافة تنفصم زرد الأفكار:

- هاي شكو عندك؟!

تجيب وقد أخفيت الكتاب بارتباك:

- سلامتك..! ماكو شي.. طلعت لي جكاره.. هاك أتفضل.. فيمتد ذراعه من كوة الزنانة، وقد باعد ما بين إصبعيه.. وتتنفس الصعداء، حمداً وشكراً (اندفعت بكسبة ما احتاجت مردي)، فالكتاب ممنوع على نزيل هذه الزنانة. أما عريف الخفر الطيب، الذي يعرف حكاية القاموس، وله الفضل الأول في وجوده بين يدي، فقد كان يحلو له القول:

- يا إستاذ.. عليمن شلعان الكلب.. ودوخة الراس، ما اتلگي لو تعلمت إنگليزي ويامن تحجي بالسجن؟!

على هذا النحو جمعت إنكليزيتي، فبلغ اعتزازي بها حُبَّ البخيل لنقوده، وأوشكت على التقرير: بأن اعتزازك بالشيء - أحياناً - يساوي ما صرفت من جهد لتحصيله. على أن الغبار تراكم فوقها، وعلاها الصداً لطول إهمال غير مقصود، إذ لم تسنح لي الفرصة لاستعمالها منذ زمن غير قليل.. ولطالما حلمت بالاستمتاع بهذه (الثروة) من المفردات، في المكان والزمان المناسبين.

وحانت الساعة المرتقبة، بعد إذ رميت بقدر جيد، وامتطيت ظهر (الانترفلوك) طائرة الخطوط الجوية الألمانية الديمقراطية)، فرحت انفض الغبار عن مدخراتي بدون تلكؤ (لولا بعض من خجل ملعون). وبلغ الزهو مني مبلغ الغرور فألتفت لزوجتي، مع طرفة بالعين، وحركة مألوفة بالحاجب معناها كما قدرت - شوفي ابن عمج يحجي إنكليزي.. بلبل -

وأدركت ما أعني فقالت باعتزاز:

- صلوات.. صلوات. كايلىن أهل المثل كل ضميم ينفع إلا ضميم السوء ما ينفع!. وشغلنا بالتطلع إلى الوديان والصحراء، ثم الجبال، وما أمتع التطلع من علٍّ وما أروع أن ترى السحب تحت قدميك، وقد كنت تلوي الرقبة، وأنت على الأرض، تتملّى سحابة صغيرة تمر فوق رأسك. وليس دون سبب أن يقتحم ذاكرتي ذلك البيت المشهور: اعزّ مكان في الدُّنَا سرُّ سابح... !

وتهادت الانترفلوك وقايلت ثم درجت فوق جزيرة قبرص حتى بلغت بناية مطار نيكوسيا الدولي، وكنت خالي الذهن، ما الذي افعله في مثل هذه الحالة.. وأخيراً ترجمت مع المترجلين، وفعلت مثلما فعل بعضهم، خلعت معطفي الأنيق (ميد إن تحت التكية!!) وصرفت شيئاً من مدخراتي الإنكليزية - متجاهلاً حرف الراء على الطريقة اللندنية!.. ففهم عامل (الترانزيت هول).. أعجبت بي زوجتي فامتألت بالغرور.

وعاودنا الطيران، فوق البحر، وأكثر التطلع إليه، فأدركت لماذا عشقه وتغنّى به بعضهم، وخافه الكثيرون. وجنّ الليل، فلم نر بعد، سوى أضواء القرى الأوروبية - يا لقريتي الكئيبة.

ثم استراحت الانترفلوك، بعد طول عناء، فوق أرض أهلها (مطار برلين) وشرعتُ بحديث - أعددتُ رؤوس أقلامه ! منذ ساعات - مع السيد والسيدة اللذين كانا

بانتظارنا ، ولم أغفل ، هذه المرة ، حرفاً من حروف الراء على الطريقة اللندنية بسبب من إن هذا الحرف كان يتردد بكثرة - عجيبة - في كلماتي..

خذوا مثلاً اسمي ولقبى ومهنتي (جورنالست) وبلادي..

والبلاد المضيفة (جيرمن ديموكراتك ريبوبلك) الخ.. ومادام الأمر كذلك (هكذا فكرت مع نفسي) إذن (طُز) على الطريقة اللندنية وليرتفع عالياً ومنغوما حرف الراء!. وتحدثت مع الموظفين وعمال اوتيل (البان هوف) دون تردد أو تعثر وبالغت بـ(المسألة)، حتى صرت أكلهم على نحو ما يفعل بعض الأفندية، إذ يحلون قرية نائية - عندنا -، فإن استعصمت علي مفردة استحضرت أختها أو بنت عمها، ولا بأس أن تكون من أطراف العشيرة! دوفا حرج أو كلفة، موقنا إن عمال الفندق سيأخذون ذلك على أنه من فرط معرفة بالإنكليزية وإطلاع على خباياها!.

ويوم رحلنا، قاصدين المستشفى، كنت على مدى ٣٠٠ كيلو متر أتحدث مع السيدة المرافقة - المترجمة - بإنكليزية أعجبت زوجتي إلى حد الاندهاش وقد لاحظتُ ذلك، فاغتنمتها فرصة وهمستُ بأذنها:

- هم گولي، بعد، ابن عمج امّخلي شي من رطين الأجانب ما يعرفه؟!

فأجابت بفرح:

- صلوات.. صلوات.. چا انتہ إگلیل (قليل) قریت.. موش چنت تقرا على ضوا

الفانوس لوجه الصبح!

ثم غادرت السيدة المترجمة، وقد اطمأنت على ترتيبات أقامتنا في المستشفى، وزايلني الرعب من تراكم الثلوج خارج بناية المستشفى حين دب الدفء بأطرافي ورحت أخلع الثقل من ملابسي.. واعتزمت التعرف على المستشفى ومن فيه.

وخطوت على مهل في الممر الطويل.. ونفحت أول قادم مما أدرُ (كد افتر نون) فحرّك رأسه ولم يجب، قلت في ذات نفسي، لعل صوتي لم يبلغه.. ثم أمسكت قطعة (لفضية) أخرى ورميت بها قادماً آخر، متسائلاً عن مواعيد الزيارات في المستشفى.. فحرك رأسه، بمعنى لا أفهم ما تقول، فألحقت، وتحذقت، لكن صاحبي حرك رأسه بشدة مع ابتسامة اعتذار، وسأله زميل له عما أريد، فعاودتُ الكلام بتأن.. مظهرها حرف الراء مرة ومُضمِرُهُ أخرى.. وتحلق حولي عدد كبير من المرضى، فغدا الأمر أكثر

تعقيدا.. وهرعتُ أخيرا إلى الممرضات مستنجدا فما كان حالي أفضل ووجدتهن أكثر جهلا بإنكليزيتي.

وانقضى يوم آخر، وكل شيء على حاله، وخامرني شك، بلغ مرتبة اليقين.. أن الألمان لا يحبون التكلم بالإنكليزية، حتى أولئك الذين يعرفون بعضها، قلت ذلك شأنهم، وليس لي أن أفسر أو أعقب.. وحسبي منهم تلك الابتسامات الحلوة. وجلست مع زوجتي، وليس لأحدنا فضل علم على آخر، فمثلا تستعمل الإشارات باليد للتفاهم مع الممرضات، كذلك أفعل، وتبحّرت نشوة التفوق التي استمتعت بها لأمد محدود. وذات مرة تشاركنا بالإشارات لتفهم الممرضة ما نريد، فاغتنمتها زوجتي فرصة وثارت لنفسها من غروري السابق وقالت:

- أثارى سؤاليك، على رأي أبو المثل (إقران إحويزة، ما ينصرف إلا بديرته..)، هم گمت اتسولف بديك مثلي.. هلبت متعلم لك چلمه ألمانية بهالمدة الطويلة اللي چنت ساجمنا بيها: خلونّي أقرأ.. خلونّي ادرس.. لحد يحچي وياي.. تالي طلع تعلومك إقران احويزة!.

غرقت في ضحكة طويلة، تحمل معنى الإقرار.. ثم قلت لها إن ثروتي من الإنكليزي تشبه ثروة سلمان بن أحمد، وأوجزت لها (السالفة) على النحو الذي أوجزه لأصدقائي القراء:

حكاية سلمان بن أحمد نواة قصة طويلة، إحدى ثلاث حملتهن معي إلى ألمانيا الديمقراطية مؤملا سعة في الوقت (للتبويض) خلال الإقامة في المستشفى. وكانت القصة بين يدي ساعة (عبرّني) زوجتي. واستطرادا أقول (هذا استطراد لا لزوم له) وجدت صعوبة في التبويض وأيقنت أنه يتطلب ضعف الجهد المبذول في التسويد!!.

اسم مشروع القصة (غنم الشيوخ) وهي تركز على أرضية تاريخية تمتد من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٢. أحد شخصياتها سلمان بن أحمد راعي غنم الشيوخ، يكثر رواحه ومجيئه في دروبها ويتكرر اسمه خلال منعطفاتها، ولذلك تصح تسميته (البطل). ولقد أخلص بطلنا هذا لمهنته وللشيوخ، فتضاعف القطيع خلال سنوات.. وكان من الممكن أن يستمر القطيع في زيادته الملحوظة، لولا ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، كان الشيخ الإقطاعي، صاحب القطيع، واحد من أولئك الذين لم يتركوا في

قلب (صديق ولا رفيق) رحمة أو شفقة حتى سلمان بن أحمد الراعي الأمين المؤتمن. وانطلقت جماهير الفلاحين من قيدها.. مثل سيل متحرر.. فهرب بعض الشيوخ إلى المدن يحتمون بأسوار قصورها.. وتوارى آخرون في الريف خلف عشائرية عميقة الجذور.. وانحنى بعضهم للعاصفة..

وتسير الأحداث - روائيا - ويقرر الشيخ بيع الغنم، ثم يسرّ للراعي الأمين.. فيغتنمها سلمان بن أحمد فرصة مؤاتية، لن تتكرر وإن هي إلا مرة في العمر.. فينفذ التراب عن مخزون الدنانير التي جمعها بطرق، كان يسميها (فضل خير الشيوخ)، ثم يزعم في حضرة الشيخ أنه استدان المبلغ، لأجل محدد..

وما تبقى يسدده إلى الشيخ بعد حين ريثما تسمن (الطليان والخرفان). وإذ غدا سلمان بن أحمد المالك الوحيد للغنم، صار ينظر إلى القطيع الضخم بعين وجلة وقلب متوجس، وبعد أن رفعت الحصانة عن الشيوخ، قرر أن تكون الصفقة سرا لا يعلم بها إلا الشيخ وأهل بيته.. ولكن من يدري فقد تفلت همسه أو ترسم إشارة غير مقصودة وساعتها (يطبّ بإيراد ومصرف). وبدا يتحرك بحذر كمن يخشى إيقاظ نائم، يتقصى أخبار (الحكومة الجمهورية) و (الخبصات) في المدينة و (الهوسات) في الريف.. وقيل له ذات يوم: غدا تأتي (هيعة التصالح الزراعي)، ولم تكن الأسماء الجديدة كثيرة التداول وكانت لجنة الاستيلاء هي المقصودة..

وانسل سلمان من بيته، مشغولاً بما يجري، منغمراً بالسياسية دونما قصد.. واجدا نفسه طرفاً في قضية لم يخطط للتدخل فيها أصلاً: (خربت الدنيا.. يفترون على أولاد الحمولة ياخذون كاعها.. ما ينعرف أصلهم من فصلهم.. هاي حسبة أتدوخ..). واندس بين جموع الفلاحين المتحلقين حول لجنة الاستيلاء، وقد اتخذت قصر الشيخ مستراحاً لها، تسأل وتستزيد، وسط حماس الفلاحين وفرحتهم.. ويتلصص سلمان بعينيه وأذنيه.. ترصدان حركات الفلاحين والأفندية.. فيستأثر بانتباهه شرطي، كان يرافق لجنة الاستيلاء، ويقاسم الفلاحين فرحتهم وحماسهم، لعله كان فرح من ذاق الكأس الذي ارتوى منه كل فلاح، أو ربما كان حماسه إخلاصاً للوظيفة..

فيومها كانت المجاهرة بالإخلاص للجمهورية والإصلاح الزراعي ولكل ما هو تقدمي صفة غالبية على أفراد الجهاز الحكومي: من الشرطي إلى المدير.. ومن في قلبه حقد أخفاه إلى حين.

وازداد حماس الشرطي فهتف:

صاروا الشيوخ غنم!

وترددت ضحكات الفلاحين في جنبات القصر لهذه النكتة..

فعاود الشرطي صيحته:

- وينهم.. وينهم الغنم!

فأحاط الرعب سلمان بن أحميد وخذلته ساقاه وتهاوى بهدوء مستندا إلى جدار القصر: لقد دق ناقوس الخطر.. ونفخ إسرافيل في الصور، وها هي القيامة تقوم ولن ينجو إلا المخلصون.. أما أنت يا بن أحميد فسيطول حسابك.. وخيل إليه أن الصيحات من الشرطي ومن الفلاحين غدت على هذه الشاكلة:

- الغنم وينهم

- وين الغنم

- وين غنم الشيوخ

- عدمن غنم الشيوخ!

آخ.. غنم الشيوخ.. ويقولها ممثل الحكومة.. والشرطي بنياشينه ونجمته ليس أحد

غيره؟!

وتتوالى الأحداث بصورة مقنعة.. ويهرب سلمان بالغنم تحت جناح الظلام إلى أعماق (هور المصندك) ليقطع كل صلة بالمعارف والأقارب، محرما على ولديه الاتصال بالرعاة الآخرين..

ناصحا بعدم ذكر الأسماء الصريحة لكائن من كان.. لكن الأشباح لا تكف عن مطاردته.. فإذا جن الليل ولمع ضوء في الطريق الذي تسلكه لوريات نقل السمك من الهور، وقف سلمان بن أحميد يراقب ضوءها هبوطاً وصعوداً، متوتر الأعصاب واجف القلب..

وإن (زَمَّ السراب) ضحى بعض المسافرين، ولاسيما الخيالة، نشف ريقه وتسارعت دقات قلبه، وحضرَّ بعض العبارات التي تليق بشرطة يحملون تبليغا:

- يا بعد جيدي.. فدوه اغدي الكم.. رجّال مسكين..

وبعد عذاب ومعاناة اهتدى للحل الجذري، الذي لا سواه.. باع الغنم كلها وصيرها

أوراقاً نقدية يسهل حملها وإخفاؤها ولم يعد صعباً حله وترحاله، فتوغل داخل هور المصندك، حيث لم يقتحم المكان سواه.. بعد إذ اكتال مؤونة سنتين أو أكثر.. وسارت - بوجهها - إلى خصب المراعي، وكل ما هنالك خصب. وعلى أحد محاور القصة يدور صراع خفي وعنيف بين ولديه للاستحواذ على كومة الدنانير (ثمن الغنم).. فكل منهما يراقب أباه ليعرف مخبأ الدنانير ويراقب الأخ أخاه مخافة أن يهتدي قبله إلى مخبأ الدنانير.

بعد هذا يصعب تلخيص الأحداث وقد بلغت مرحلة التوتر.. لكنني أعلن وصول (المؤمن) الذي تعود أخذ الزكاة السنوية من سلمان بن أحميد يوم كان يسكن أرض الشيوخ.. وقد اهتدى إلى بيت سلمان في مكانه القصي مستدلاً بحاسة شم لا يتمتع بها إلا من كان على شاكلته.. ويشرع المؤمن بحديثه المعتاد مظهراً الشوق بعد غياب طويل.. ثم يتحدث عن الجنة والنار.. وإن العطاء (الواحد بسبعين) الخ.. وغداة اليوم التالي ينقده سلمان بن أحميد من مخزن آلاف الدنانير ورقة نقدية من فئة الخمسة دنانير.. يتسلمها المؤمن مبتسماً ثم ينظر إليها مكتئباً.. ويذيع بينهم الخبر المر اليقين: وهو إن العملة التي تحمل صورة الملك فيصل الثاني قد سقطت واستبدلت بعملة أخرى وأن المدة القانونية لاستبدال النقود قد انقضت.. ولم تعد دنانيرك - يا سلمان بن أحميد - تساوي أكثر من قيمة ورقها!



## ليلة غنى (أبو غاطم) حتا الفجر

الوجه أليفه، حد الاعتقاد بأنهم عايشوك ألف سنة أو تزيد!  
الأصوات مألوفة، لدرجة تظن معها أن قد سمعت منهم ألف مرة أو تزيد..  
في حين يصعب عليك تعدادهم، ويستعصي القول إن الأغلبية بينهم للشباب، أو  
للكهول.. للنساء أو للرجال.. للعرب أو للكرد.. أو للأقليات القومية، التي تعيش  
على أرض هذا الوطن.  
ولن تجزم بأن الأغلبية للعمال أو للفلاحين.. إنه حشد كبير، لكن تألفه يحملك  
على الاعتقاد بأن الجميع أسرة واحدة.. وأنت جزء منها.. ولكن لا تدري أنت  
الأصغر.. أم الأكبر أم الوسط؟! إنهم أسرتك وحسب..  
والضحك مثل هلاهل العرس، يرتفع.. لم يذوب كقطعة سكر في استكان شاي!  
والحركة دائبة، ووقع الخطى منتظم في ممرات القاعة، وعلى المسرح خلف ستارة  
حمراء سميكة، يتناهى نغم خفيف، من آلات موسيقية تُهيأ للعزف..  
وعريف الحفل (أنا!) أرقب وأسمع.. وأوغل في الذكريات.. أبعد من ثلاثين  
سنة.. فأسمع وسوسة الأساور، في معاصم الحسناوات، ورنين الحلي على صدورهن، أو  
معلقا في أطراف (الفوط)، في صبيحة يوم العيد..  
ولم يُغيّب الزمن صورة تلك الرقصة، من ذاكرتي.. وإيقاع (الدفوف) مع  
التصفيق - في باحة مقام (سيد سراب). وحاولت أن أتذكر شيئا مما كانت ترده المغنية  
الشابة، ذات الصوت الرخيم.. وكنا سعداء (نحن الأطفال دون العاشرة) يحسدنا  
الشبان الممنوعين عرفا من دخول حلبة الرقص..  
وكتبت على ورقة صغيرة، رؤوس أقلام، استعين بها على تقديم فقرات البرنامج -  
بوصفي عريفا للحفل - وصحفيا مكلفا بكتابة ريبورتاج موسع عن الاحتفال.

لم أغفل جانب المفاجآت، كأن يطالبني أحد الحاضرين بالتعليق على فعالية، أو رواية نكتة.. أو حكاية.. فوطئت نفسي لكل هذه الاحتمالات وهيأت أكثر من نكتة وأكثر من حكاية.. فالدنيا مليئة بالنكات، والحكايات كثر لا تقع تحت الحصر. لكن، على غير ما توقع، نهض شاب من الصفوف الخلفية وهتف:

- (أبوگاطع)..

(أبوگاطع) لازم تغني!  
فضّجت القاعة بالهتاف والتصفيق، مساندة للطلب! وما كان لي إلا أن أحيي رأسي (على طريقة المطربين!) وأجيب:

- حاضر! حاضر!

مع أنني لم أجرب الغناء من قبل، أمام ثلاثة، وحتى اثنين، فكيف لي بهذا الحشد الضخم؟!  
غير أنه لا مفر من الاستجابة (بشكل ما).. إنها ليلة عيد الحزب الاربعين، مع أن عمري قد تجاوز الأربعين..  
وأخذت أحاور نفسي:

- أرايت؟!

إنك الآن وجها لوجه مع الجمهور.. قد تجديك يا (أبو كويطع) كبصة حماسة الشباب أو (كبصة) من حكمة الكهول، لو كنت تجلس وراء منضدتك في غرفة التحرير.. فتكتب ما يطلب إليك: تسود وتبيض، وتفاضل بين تعبير وآخر..  
إما أن تصبح أمام الجمهور (وبلا جافية!) عاريا من الكبصة والحفنة.. فتدبر أمرك، وخذ حذرک.. وجرب الغناء..  
إنه غناء.. وليس حكايات..

والغناء يستلزم صوتا و(الفلوس عند العروس!).  
وشغلت نفسي، أكثر مما ينبغي، حتى سهوت عن تقديم الفقرة الأولى من البرنامج في موعدها المحدد..

وسمعت صوتا، من وراء ستارة المسرح ينبهني ويأمرني بتقديم الفقرة الأولى.  
أمسكت الميكرفون.. أحسست ارتعاشة، لم يلحظها المحتفلون.. وقدمت الفقرة الأولى..

وضجت القاعة بالتصفيق لنشيد الأُمّية:  
هَبّوا ضحايا الاضطهاد  
وأسهم المحتفلون جميعاً بترديد النشيد.. وحالما هدأت القاعة، دنوت من صدر  
المسرح، لتقديم الفقرة التالية، لكن عاشق صوتي - كمغن- نهض وهتف ثانية:  
- (أبوگاطع).. لازم تغني..  
فحظي مطلبه بالإسناد، وبحماسة عبّر عنها بالتصفيق العاصف.. وكان لا بد لي من  
تكرار الإجابة:  
- حاضر! حاضر!!  
غير أن شاباً نحيفاً - من الصفوف الخلفية- نهض على عجل، ومد ذراعية طالباً  
الهدوء.. قلمل في وقفته، وحرك رأسه يمنة ويسرة.. وانعكست الأضواء على نظارته  
الطبية (قدرت أنه فنان بمجرد النظر إلى تسريح شعره.. وألوان ثوبه الصارخة..  
وتساءلت مع نفسي: لقد رأيته من قبل.. ولكن متى.. وأين؟ ثم أجبت: وماذا يتغير  
من الأمر إذا حددت المكان والزمان الذي التقينا فيه.. لقد أعفاني من عناء البحث  
مؤقتاً- حيلة لتأجيل غنائي)  
وشرع يتكلم، بانفعال، حاول السيطرة عليه:  
- استمبحكم العذر.. إذا جانبني التوفيق وفشلت في إيصال كل ما في ذهني  
إليكم..  
فأرجوكم قبول بعضه والاستعاضة بما هو مفهوم، عما هو غامض.. ولابد لي من  
الاعتذار لإدارة الحفل، عن إقحام كلمتي.. لكن شفيعي أنها للحزب وعن الحزب..  
وحين رفع رأسه.. شفت نظارته عن دمعيتين، توشكان أن تنحدرا.. وقال:  
- الإنسان وحده قادر على رسم صور محسوسة للأشياء المجردة- مثلما هو قادر  
على تجريد المحسوسات..  
وكما لو أنه أصدر لي أمراً بالبحث عن مثال المجردات، عدت إلى عهد الطفولة..  
وتذكرت صورة العيد المجسدة.. كان عندي يشبه رجلاً محترماً في القرية، اسمه شيخ  
ياسين.. أتذكر الآن هيئته.. وحتى طريقته الخاصة بصيغ لحيته بـ (الوسمة والحنا)  
وتذكرت أنني طاوعت أمي، ولم ألبس ثوبي الجديد، عشية العيد.. لأنها حذرتني  
بقولها:

- لو لبست دشداشتك الجديدة بالليل يزعل شيخ ياسين.  
لقد تخيلت الرجل الوقور - شيخ ياسين- وهو (زعلان) من تصرفي.. مقطب  
الحاجبين.. ولربما انتهرني..  
وتذكرت أطفال القرية حين يكبرون، صبيحة العيد، يتطلعون صوب الدروب المؤدية  
إلى القرية، انتظاراً لمقدم العيد.. وتذكرت مرة (وليس بوسعي تحديد عمري يومذاك)  
أن أحد الأطفال قرر:  
- يجينا العيد من قرية عكيل..  
ورّد آخر (ولابد أن يكون أوسع أفقا):  
- لا ولك. لا. يجينا من الحى..  
وشجر نقاش بيننا حول ما إذا كان العيد يأتي قريتنا راجلاً أم فارساً.. وثمة شيء  
على شريط الذاكرة لا اتبينه الآن.. وشرعنا بـ (مكاسر) البيض..  
يومها كان البيض في متناول يد الأطفال - ياله من زمان سعيد!!- وبعض  
المحظوظين من الأطفال يملك خمس بيضات.. ولكل منا طريقته في سلق البيض و  
(تصليبه):  
وعلى أية حالة، فقد (صُفّي) البيض (المشيب والمحنا) كله بعد ساعة من بدء  
المكاسر..  
وشغلتنا حركة أهل القرية، وهم يتزاورون  
- وفجوة أخرى على شريط الذاكرة - وتوجهنا بعدئذ إلى مقام (سيد سراب)  
حيث يبدأ الرقص. رقص العيد، وغناء العيد وتصفيق العيد.. وضّجت القاعة  
بالتصفيق..  
فصحت.. وعدت إلى حيث أقف.. ورأيت الشاب النحيف يمد ذراعيه.. يدّل بهما  
نحو الثريا في قبة القاعة.. ويصل ما انقطع من حديثه الطويل:  
- انظروا معي..  
صاحبة الوجه..  
وضاءة البشرة..  
إنها لم تكتمل لمخلوق من قبل..

هذه الابتسامة المشرقة..  
وحلاوة العينين..  
وهذا الشباب الفض..  
وكل هذه الحيوية، التي هي طوع أمره..  
لم تؤثر فيها الأحزان لفقد الآلاف من أبنائه..  
أعرف أن قد نفض كفية من تراب الف قبر، وأرى فيه أعز أبنائه، وهم في ريعان  
الشباب..  
وأعرف أنه ضمّد أكثر من الف جرح نازف، في أجسام أبنائه..  
ومسح الدموع عن آلاف العيون.. عيون أحفاده اليتامى.  
وواسى أمهاتهم.. الأرامل..  
واصغى للأمهات الشكالي في بيته..  
إن صوت الشكلى ينخر القلب ويشرب البهجة من النفوس..  
إن أحزان الأحفاد.. في العيون.. تمتص الفرح.. والحيوية..  
مع ذلك.. انظروا معي.. ابتسامته المشرقة..  
ولقد رأت عيناه أجساد أولاده تتأجج في جبال المشانق..  
وها هو كما أراه صبوح الوجه دائم الابتسامة.. ينضح الفرح من عينيه وشفتيه..  
أتعرفونه ؟  
إنه الحزب..  
أعجب- ولا ينقضي عجبي كيف، ومتى، وأين، تهيأت له كل الفرص ليكتب ما  
كتب.. ويعمل ما عمل.. ويغرس كل هذه الأشجار المثمرة.. وينثر تلك الكميات  
الهائلة من البذار في كل تربة خصبة.  
ويقول كل هذه الكلمات عن كل واحد منا.. ؟  
أتعرفون ماذا قال؟  
نهض رجل، يجمع بين الكهولة والشباب، ميّزته بدلة العمل الزرقاء، ليجيب على  
تساؤل الشاب..  
أخرج من جيبه كراسا، ولّوح به ثم قال:

ليس في نيتي أن أستأثر بوقت طويل من سهرتكم الرائعة.. ولهذا فضّلت أن أختصر  
ما قاله عنا.. مكتفياً بما جاء في برنامج الحزب الذي أقره المؤتمر الثاني عام ١٩٧٠ .  
فاغتنم أحدهم فرصة انشغاله بتقليب صفحات الكراس..  
ونهمض يردد بصوت جهوري أبياتاً من قصيدة الجواهري  
سلامٌ على حاقِدٍ ثائرٍ  
على لاحب من دم فائرٍ  
يخبُّ ويعلمُ أن الطريق  
لا بد مُفضٍ إلى آخر  
وأخذت أقرأ لنفسي:  
سلام على مثقل بالحديد  
ويشمخ كالقائد الظافر  
كأن القيود على معصميه  
مفاتيح مستقبل زاهر  
وبلغ المحتفل في قراءته:  
سمير الأذى والظلام الرهيب  
خلا الحي بعدك من سامر  
فأنشدت لنفسي أحب الأبيات من تلك القصيدة:  
سلام على جاعلين المحتوف  
جسراً إلى الموكب العابر..  
كنت على يقين من أن جميع الحاضرين قرؤوا برنامج الحزب، وربما قرأ بعضهم منهم  
هذا الفصل المتعلق بالعمال والمستخدمين أكثر من مرة، ولهذا انتابتنني الهواجس من  
تسرب الملل إلى نفوسهم، إذا ما استمر الرفيق العامل في تلاوة هذا الباب، دونما  
توقف عند محطة استراحة..  
فحاولت التدخل بطريقة ما..  
رميت إشارة مفهومة بيننا (خلف الدواح وانا) على أمل أن ينهمض ويروي نكتة..  
أو حكاية.. أو تعليقاً يخفف من حدة الجد..

لكنه رد علي بإشارة فهمت منها:  
أن الموقف لا يحتمل غير المجد.. (أو شيئاً يشبه هذا القول.. إذ إنه مرّر إصبعه  
على ترقوته).  
وفجأة نهض شاب يافع من منتصف القاعة حالما توقف العامل عن القراءة في  
نهاية مقدمة الفصل.. وراح يردد بصوت (مهوالي) هذه القصيدة:

ذوله احنه  
تمعن شوف ذوله احنه  
على تراب الوطن  
ياما حصّنا جروحنا وطحنه  
ياما غنت الساحات  
من رفت لوايحننا  
هذول احنه  
تحدّرنا بظلام الليل  
مثل الفجر لعيون الشعب لحنه  
وهتفنا يا شعب لبيك  
اجوك رجال  
خوّاضة محن  
لا تهّم للمحنه  
ضحايّا اتريد؟  
ابشر يا وطن عيناك  
ذوله احنه  
رجال احرار عد يميناك  
بينّا تفاخر اقبال المشانق  
لو تلولحنه  
هذوله احنه  
هذوله احنه

واستأنف العامل تلاوته في البرنامج وقرأ الفقرة الأولى (في ميدان وحدة الطبقة العاملة وحركتها النقابية).

وأحسست أن قد طال وقوفي على المسرح، بانتظار البرنامج المطبوع، وانني الآن تحت رحمة المصادفات،

فأشرت إلى الرفيق - مسؤول الاحتفال.. وخاطبته بالإشارات، معرباً عن الحرج.. وكان رده - بالإشارة - لا تتعجل.. ومن الإشارات فهمت.. وكأنه يقول: (مالك لازم).

وأردت أن أعترض، لكن أحد المحتفلين أخذ يلقي أبياتاً من الشعر حالما انتهى الرفيق العامل من قراءة تلك الفقرة

والتقطت من القصيدة بيتين:

وعاشرتكم.. شفت كل بدله بحيره

وكلب كل عامل نهار..

ورافكتكم.. كلب كل واحد محبه

ونبي واحدكم عرفته..

فتدقق.. مسيل الذكريات

حقا لقد صدقونا..

صدقونا..

وصادقونا..

ووفيت يا (أبو وثبه)، وزكيت صدقهم وصادقتهم..

وما تزال حكاياتهم عن (أبو محيسن) تبرر قول الشاعر: (ونبي واحدكم عرفته) أن تنمو..

وسمعت الرفيق العامل يقول بصوت عال:

٢- (في ميدان الحقوق الديمقراطية والنقابية):

ويتعمد إعطاء فرصة للتركيز.. وليس للتعليق (بالطبع) ثم يتلو الفقرة..

فيتبعه الشاب ذو الصوت (المهوالي) ويطلب الإذن، مبرراً طلبه بالقول:

- حتى تستريح أشويه..

واستبد بي واحدا من أبيات القصيدة.. مثل أمامي  
وكأنه قد نقش على قطعة قديفة حمراء في مواجهة المسرح:  
وما وكف غيم اعلى نورك..  
ولا نبت غش اعلى بابك..  
وقلت: ان يقف الغيم مكانه.. فتلك نكتة..  
ولقد سئل الاحمق الذي ظل بضاعته المخبأة.. أين وضعتها.. وأي علامة اهدت  
بها؟.. فأجابهم: كانت تظلل المكان غيمة سوداء..  
وماذا عن الغش؟  
قد ينبت.. ولكن إمكانية اقتلاعه.. متوفرة في كل زمان ومكان.. و.. سمعت  
العامل يتابع قراءته..  
وبين فقرة وأخرى يتمهل لإعطاء فرصة للشبان الذين يجيدون إلقاء الشعر..  
وخطر لي أن أتدخل، وأروي نكتة عن زيادة الأجور..  
إنها حكاية طريفة.. وأكون قد رميت عصفورين بحجر، تخفيف جو الرتابة الذي  
يخلقه طول الإصغاء.. وثانياً.. أبرر وقوفي على المسرح.. ولكن يبدو أن هذا كان  
بالحسبان.. فقد نهض الشاب - ذو الصوت المهوالي - وشرع يتلو القصيدة بلا  
استئذان.  
فقدرت أن النكتة لم تعد تناسب الفقرة التي بين يدي العامل.. ومن جهة أخرى  
لاحظت على الحاضرين استجابة للشعر..  
فقررت مع نفسي أن أقترح على الشاب ذي الصوت المهوالي قراءة إحدى القصائد  
التي أحببتها.. وكنت قد سمعتها في مناسبة للعيد التاسع والثلاثين للحزب.. كان  
عنوانها:  
(الكمز يكثر ضوا ويعدده شباب)  
وأدركت أن مثل هذا الاقتراح يستلزم بالضرورة أن أهيب له القصيدة ثم أطلب منه  
تلاوتها..  
استندت بذاكرتي..  
فلم تسعفني بغير بيت واحد..

وشطر بيت:  
وبعنا كتب اطفالنا بچارك طحين  
وبعنا چاكيئاتنا بليل الشتا...  
وما بعنا اسمنا..

وخلال محاولاتني للبحث عن أبيات أخرى، كان الرفيق العامل قد انتهى من قراءة الفصل.. وكانت القاعة تحييه بالتصفيق العاصف.. وفطنت إلى وقفتي الطويلة، على المسرح، وطالبت الرفيق المسؤول بأن يضع البرنامج المطبوع بين يدي.. ولكنه كرر الرد - بالإشارة - (مالك لازم!) فساورتني الهواجس.. وخشيت (الملعون) خلف الدواح وقلت لن يتركها تمر بسلام.. وسوف ينهض ويروي لهم حكاية (زهيرا). ويتهمني - ظلماً - بالولع الشديد بالمايكرفون، ولع زهيرا به (الخصور) وكنت قد سمعت الحكاية منه:

ولدت في بيت يعد نموذجاً للفقر في الجنوب، ومع ذلك فقد وهبت جمالاً ملحوظاً وقواماً متناسقاً، وبتراءى جسمها في أقصى درجات الصحة والحيوية.. كانت طيبة، حد السذاجة، ولوعة بمشاهدة الحلي والزينات في معاصم وأعناق الفتيات.. لا تمل الحديث عن أنواع الحلي وترديد أسماء (الزينات) ولم يسعدها الحظ باقتناء (حتى) (خصور صب الشاي). ومن بين من عرفن ولعها بالحلي (أم أشنين) زوجة أثري فلاح في القرية.. أخذت تساوم (زهيرا) حتى أقنعتها بالعمل يومياً لمدة ساعة، تطحن الطحين مقابل لبس (خصور الهيلي) وقلائد (اللکط)..

وحالما ينتهي الطحين، تخلع (زهيرا) كل الحلي، وتذهب إلى بيت أهلها! وأيقنت أنه سيرويه حتماً، حين نهض.. وشق طريقه وسط الجمهور، حتى بلغ المسرح.. وقدم نفسه دوغماً كلفة، وبصوت يشبه صرير عجلات غير (مشحمة):  
أنه خلف الدواح!

فاستقبل بتصفيق حاد وهتافات: (سالفه.. أبو حسين.. سالفه)  
ثم تألفت الأصوات مع التصفيق وغدت ترديدة موقعة:

سالفه.. سالفه.. سالفه!!

فأشار خلف بكتلتا يديه، طالباً الهدوء، ثم تنحنح بعد صمت القاعة وقال:  
- يا بعد جبدي.. ببيكم خير واخذوا سؤالف.. لكن غير اتخلوني هم احجي مثل  
رفيقي العامل.. وأبين الكم اشكال الحزب عن الفلايح..  
ومادام رفيقي العامل يعرف يقرا وحجي حصتهم من البرنامج أنه حافظ على  
سدري زبدة الشي اللي يخص الفلايح بالبرنامج.. اسمحوا لي اكوله..  
فعاجله الشاب، النحيف، الذي دعوه، فيما بعد، (أبو عباس) مقترحاً:  
- أبو حسين أنه اقترح شي آخر..  
- احنا نقرا الباب الخاص بالفلاحين، وأنت بين فقرة واخرى سولف النا سالفه..  
واعتقد السؤالف ما اتكلفك شي.. لان عندك هواي سؤالف.  
اصطنع خلف الدواح ضحكة، ثم حرك يده، على نحو دائري، وردد لازمته  
المعروفه:

- تهني بهي!!

اسمعوا البطران شيكول؟

السؤالف ما اتكلفك شي.. !

ثم توجه نحو الشاب وخاطبه، بهدوء يحسد عليه:

- يگولون مرّت البطه على (أبو الزعر)

(أنت شايف أبو الزعر؟)

فارتفعت أصوات عديدة تجيب

- شايفينه.. شايفينه، يطلع بكّد نص بيضة البطة

- (رحم الله والديكم!)

كالت البطه لبو الزعر، اللي جان كاف على بيضاته،

(انتم شايفين بيضة ابو الزعر؟)

فارتفعت الأصوات، ثانية، تجيب:

- شايفيها.. شايفيها.. تطلع بكّد حباية الباكلا الزغيره!

(رحم الله والديكم.. ويمكن من كبر حباية الحمص الجبيرة!!)

كالت البطة لبو الزعر، هنيالك على زغر بيضتك.. اكيد تبيضها وانت ماتدري  
بيها..!

وچان يضحك ابو الزعر ويكلها:

- تهني بهي!!

لو تدرين اشكتر اتعذب، منّا لمن ابيضها، ما چان حچيتي..  
اعتقدي يابطه، وحگ الشط الجبير اللي تسبحين بيه، منّا لمن ابيض هاي اللي  
اتشوفينها -زغيره- يصيرن عبوني ارباع ارباع!!  
فعاد يارفيق، اشلون السوالف مايكلفني شي؟!  
آنه اللي ما اقره ولا اكتب.. وعایش بالجلهيمه؟  
وعصف الضحك بالقاعة، من جديد، ثم أعلن خلف الدواح موافقته على الاقتراح  
(شريطة ألا يقيد بأن تكون الحكاية.. وكأنها امتداد للفقرة التي سبقها، أو مقدمة  
للفقرة التالية).

ونهض (ابو عباس) وراح يتلو البرنامج:

فجاء على مقدمة فصل (الثورة الزراعية الفلاحية) بسرعة كان لا بد منها.. وحين  
بلغ في قراءته المطلب الأول المتعلق بتحديد الملكية.. انصرفت الى الأيام الخوالي.. إلى  
الجدل الذي دار في (العهد المباد) بين أحد النواب (المتنورين) وبين أكبر إقطاعي في  
العراق..

إذ اقترح النائب تحديد ملكية الأراضي بـ (مائة ألف دونم)

صرخ الإقطاعي - يومها:-

- چا گول صرنا شوعيه!!

وتوقف أبو عباس عن القراءة ورمى (خلف الدواح) بنظرة.. كأنما يذكره الاتفاق..  
فنهض خلف وقال:

(ذیچ السنه ترافکوا شحمانی وغریباوی.. ونزلوا بمضيف، وكت الغدا.. جابوا  
الهم خبز ودهن.. گام الغریباوی یثلم اللکمه ویخلي منها وجه واحد على الدهن..  
والشحمانی یجلب اللکمه وجهین على ماعون الدهن.. ومره ثالثه یקרّف الدهن  
باللکمه..)

وچان يلزم ايده الغريباي ويكله:

- اسمع..

آنه وافته خطر كل من يشلم لكتمته ويغمسها وجه واحد باعتبارنا أولاد حوا وآدم..  
انوب كمت تجلبها وجهين؟ هم كلنا ميخالف، باعتبارك من كرايب محمد الياسين شيخ  
مياح.. هاي الكرفه الثالثه شيسمونها بالخير؟!!

وددت لو أن (خلف الدواح) اختار طرفا من حكاية (عبيد المنتاز) حين أشار له  
(أبو عباس) أن يقول شيئا بعد تلاوة الفقرة المتعلقة بالتنظيم الفلاحي.. ولكنه بدلاً من  
ذلك اختار هذه الحكاية:

(ذبيح السنه، حمود بن شنين، زرع له خضره، كامن صخول زاير عوده (الي عينته  
حكومة بيت عارف ريس جمعية) يسرحن بالخضره، مناه لمن هجرنها.. وحمود لا يعاتب  
ولا يحجي.. يوم من الأيام اجه (مسعول) الاصلاح الزراعي وكام (يشغف) باهل الجرية  
ايريدهم يزرعون اشجار.. وكال لاتنسونه هذا الشعار (ازرع ولا تقطع)..  
وچان يجاويه حمود بن شنين: يااستاد، انتة ماتدري، صخول الزاير (شعارهن)  
اقطع.. ولا تزرع!!

و ويه هذا (الشعار) كلشي ماينفع؟!

وحين قرأ (أبو عباس) فقرة ترسم الاتجاه المقترح لإنشاء المزارع الحكومية.. كنت  
أراقب (خلف الدواح) بانتباه شديد.. ربما كانت هناك هواجس مشتركة بيننا.. لكن  
تعايير وجهه كانت أوضح مما ينبغي وساعتها رحت أسألك نفسي:

ماذا يدور في رأسك، يا خلف الدواح؟

غير أنه تعجل النهوض ليلقي حكايته، حتى قبل أن يسمع الكلمة الأخيرة في هذا  
المطلب (.. البذور المحسنة)..

وأخذ (راحته) في الالتقاء.. وأظنه حاول التمثيل حتى.. كانت طريقته، هذه المرة،  
رائعة في ربط الحركات بالألفاظ وهو يصف (القچمه) مثل شاعر يتغزل بحسنا!!

- ذبيح السنه، ورا ماخلصت حرب العظمى التالونيه، وطلعوا الانگریز، باعوا  
سياراتهم للعراقيين.. واحد من اهل (مويلحه) اشترى سيارة (قچمه) وصرنا نمشي بيها  
للولاية، لكن ياجماعه (الله يعيذك) كام يشوي على اذانا بصل!!

يوم من الايام كال زاير عبود:

- ولكم احنا أهل (العلوه) اكثر من ستين بيت، مانكدر نجمع كل واحد عشر دنانير ونشتري لنا (قچمه) واللي مايكدر يدفع، اكو عدنا اشجم واحد حالتهم زينه، يكدرون يدفعون اربعين.. خمسين دينار..

وعدنا ابن عبيد المهتلف سايق منتاز.. وتصير سيارتنا (خصوصي) لجريتنا.. ونسد الفلوس من چدها! ما اطولها عليكم تنفذت الفكره.. واشترينا (القچمه) وسوينا لجنه تراقب الوارد والمصروف..

وگمنا نركب بالسيارة على كيفنا، ونداريها زين.. واللي يصعد وييده مسحاه يو سچه فدان ماخذها للتصليح، مايذبحها على كاعية السيارة.. من حيث الكل يصيحون عليه:

- على كيفك.. على كيفك.. قابل هي سيارة ميري؟! چا غير هي سيارة الجريه؟

ومشت الامور عدل ثلث تشهر، لكن معلومك الناس كلمن ملتهي بشغلة.. وبطلت اللجنة.. وتالي ما تالي تسلم الوارد والمصروف زاير عبود..

ايه.. السوالف طويله.. ما اريد آخذ من وكتكم..

گام ابن عبيد المهتلف (سايقنا المنتاز) يجيب لزاير عبود بين يوم، ويوم اشچم (بيذنجان) ويگله:

- هذني نساھن واحد من العبرية بالسياره..

- ويوم يجيب له طماطات، ويگله هذني اطانني اياھن واحد من العبرية.. وجبتھن الك.. ما اطولها عليكم.. كسر بجمع صار جدر بيت عبود ينشئ ليليه.. لكن اهل الجريه مايدرون.

يوم من الايام اجت (القچمه) المغرب ونزلوا من سطحها (محمل) ابو الجام.. وصندوك (امتجم).. نشدت واحد من اللي چانوا يم السياره كال لي:

- يامعزوز عيني، المحمل ابو الجام لسايقنا المنتاز.. والصندوك المنجم للسكن..

عاد أنه (العوذا بالله من گولتن أنه!) صحت: اويلاخ يا دواح يابويه راحن فليساتنا.. حيل ويانا.. تيهنا (القچمه) بيد الزاير وابن المهتلف..

وماطلعت احجابتي بلاش.. عكّب شهرين صارن براغي (القچمه) صخاري بيد  
النشامه، وغراضها لعبات للجهال..  
ولما استأنف (أبو عباس) تلاوة الفقرة أو المطلب المتعلق بإعفاء الفلاحين من  
الديون الزراعية المتراكمة ومن الضرائب والرسوم غير العادلة، ومن أجره الماء ومن..  
كنت أريد الحديث بالأرقام.. وكنت.. هذه مسألة خاصة..  
لست متعصباً للوقوف مع الفلاحين في كل مطلب.. بل إنني أقف بشروط.. لكن  
صاحبي (خلف الدواح)  
نهض، وهتف بصوت يذكر بأصحاب المقاهي الشعبية، حين يأمرهم العامل  
بإحضار الماء:  
- يولد..  
العفو.. يارفيق.. نشفت ارياكنا بلكي اكلاص ماي..  
- ويعرض الدرب بلكي استكان چاي.. والشى بالشى يذكر، فطنتني حچاية  
(ويعرض الدرب) بسالفه، على عهد بيت عارف، يمكن إلها رباط بالفقرة اللي قراها  
(أبو عباس) وهاي السالفة على ايدي وبيها اشهود كل اهل الجريه:  
الضحى، وكفت سيارة تورن نزل منها ابو الضريبه ووياه شرطي، وراحوا لربعة زاير  
(چويد) سركال السلف..  
التمينا كل احنا.. نريد انشوف شنهى الطركاعه الجديدة.. كال ابو الضريبه انتو-  
فلان وفلان وفلان- عشرة - مطلوين ضريبه صار الكم سبع اسنين- كل واحد تقريب  
مية دينار.. وهسه لازم تدفعون يو نحجز على ابيوتكم.  
ما اطولها عليكم، اشتغلت الاشارات والمغامز.. وچان أيكول ابو الضريبه:  
- أنتو (خطية) ناس فقرا والحكومة عادله وما تريد اتضركم، وأنى خايف الله..  
وسنة اللخ انشاء الله ارواح لبيت الله.. المهم.. نأجل عليكم الضريبة.. بس لازم  
تدفعون كروة التكسي..  
كال زاير جويد: هاي سهله - يابعد عيني عينك- امس وديت بت اخوك للدختور  
واستأجرنا الها السياره بدينار وربع.. هذا الدينار وربع اطيك اياه..  
وجان يصرخ ابو الضريبه:

- ليش آني مريض؟!

ليش آني مثل بتك؟!

ليش آني فقير؟!

ليش آني.. ..

آنه جاوبته: حشاك عمي حشاك!!

هاي احپايه تنحجي.. أتفضل كۆل شتريد؟

كآل ابو الضريبه:

- آنه جاي على زاير چويد مطلوب ضريبه، ومأجر سيارة بدينار وربع.. وبها لأثناء  
وبعرض الدرب عندي اسم خلف الدواح.. فمعناه آنه مأجر السيارة وجاي على خلف  
الدواح.. وبعرض الدرب عندي اسم زاير مبيرم.. مطلوب ضريبة فمعناه انه جاي على  
زاير مبيرم.. وبعرض الدرب عندي اسم غويلي الحسن..

وچان يصيح غويلي الحسن:

- أشماله (عرض الدرب) لفني ولف خلف الدواح وابو شامه وحسين وعبد علي..  
شنهي طركآعته (عرض الدرب)؟! سلية صايد؟

و(هم) ما اطولها عليكم (- وبعرض الدرب- (دفعنا، احنا العشرة، كل واحد  
دينار وربع، كروة السيارة.. وانوب اجت طركآعة الغدا.. و(هم) ما اطولها عليكم..  
جمعنا عشر فسيفسات وحطيناهن بالسيارة..

وشرع المضيفون بتوزيع الشاي - للمرة الثانية- وجيء لخلف الدواح بكوب.. فقال  
له مجاوره:

- چان لازم اتكل للولد اللي انطاك الكوب آنه خلف الدواح، حتى يدير باله  
عليك!

فضحك خلف.. وأعلنها للحاضرين.. ثم قال:

- عندي سالفه على نصيحة الرفيق، اللي رادني (أعلن) أسمى حتى يدير باله ابو  
الچاي:

(واحد من ال عبد ضاف عد واحد من الغنائه، اول ما كعد بالربعة وجان يصيح:

- آخ ياصكبان ياخالي.. ضهري يوجعني..

(معلومكم صكبان شيخ چبير)

لكن الغنّام شاف الحجاية معرضه.. وماتتفوت.. وچان يلزم عصاته ويكّل  
للخطر:

- أرد انعل ابوك لآبو خالك الصدك..

ولك هته ارغيفين خبز وطاسة لبن اجيبهن إلك..

إن چان صگبان خالك والا عمك.. بعد هالتخروت عليمن.. ؟

هسه بالعجل البس كلاشك وگوم بغير غذا!

وكان إحساسى بـ (لا جدوى الوقوف على المسرح) قد بدأ يتضاعف كل دقيقة،

فقررت مع نفسى أن اصطنع سببا للانسحاب من المسرح.. وتوصلت، بعد البحث، إلى  
فكرة التظاهر بالبرد على نحو يبرر انسحابى من المسرح وقلت: علّ وعسى أن يتطوع  
أحدهم بالسؤال (مثلا):

- هاه.. أبوكاطع.. ايبين بردت؟

ولكن (خلف الدواح) بخبثه الفلاحى العتيد، التقطها.. وحرمنى من الإفادة

منها.. وحولها نكتة أضحكت الحاضرين ومنعتني من الانسحاب.. حين خاطبني:

- أبوكاطع.. كون انت هذا اللي لابس نص هدوم الدنيا وبردت.. عزّ الله هذا

البرد ولا يخلى واحد عدل، مثل صخونة بيت عزّوز:

- ذبج السنه صاب آل عزّوز مرض (الله يعيذكُم) محد عرفه، چانت الوادم

غشما! سمّوه (صخونة آل عزّوز).

وچان بجريّة آل عزّوز (طهماز المتغاوي) وكيل الشيوخ.

لكن يا جماعة، الله لا ايرايكم طهماز المتغاوي، ولا يثرد الكم وياه!! فرد واحد

ظالم، سابى الفلاليح، شاوي على اذانهم بصل، (راح لدار حكه غاد يتلگى عمله).

يوم من الايام اجانا واحد من جريّة آل عزّوز وگال: ابشركم: طهماز المتغاوي مات

بالصخونه وچان يصيح مرحوم (نوف):

شويب ميتكم.. اشردوا لعفج!!

ولكم الصخونه اللي موتت طهماز، ولا تخلى فلاح عدل بالغراف!!

وكان أبو عباس قد فرغ من قراءة واحد من المطالب الخاصة بالفلاحين، وهي ضمان

أسعار عادلة لمنتجاتهم وتخليصهم من المضاربين والوسطاء.. وضرورة ضمان الدولة

لشراء حاصلات الفلاحين..

واغتتم (عاشق صوتي) جو المرح الذي سيطر على القاعة بعد حكاية خلف الدواح،  
فردد بصوت جهوري:

- والله وبالله.. لازم تغني أبو كاطع..  
آني اطلب من الرفيق- أبو عباس.. يستريح شويه على كد ماتغني - ولو أغنية  
قصيرة!

لكن (خلف الدواح) رفع ذراعيه وقال بلهجة رجاء:  
- يا جماعة عندي سالفه على هاي الفقرة.. ولو فاتت هسه.. اتصير مثل طابك  
الدخن البارد..

ارجوكم اسمعوها.. وبعدين يغني الكم ابو كاطع:  
(يمكن بعض السوالف. احط عليهن بهارات !! لكن هاي، احجيهما مثل ماهيه..  
الله وكيلكم):

ذيچ السنة، خلينا من الجاي والشكر، بنص الشتا، وعكّب ما تشاورنا أنه وام  
حسين، كلنا نكدّر نستغني عن چيلة حنطه.. نبيعها وندبر امرنا.. لكن ام حسين  
طبكت الها شغله وّي الجاي والشكر.. كالت لي هاي الفاس صارت عميا.. لازم  
تاخذها للچراخ.. (وهددتني) ترا لوما سويتها تظل الكاع بشوچها..  
وهم يكتلك البرد!

كلت الها ميخالف وجبت كونية الحنطه.. اثارني ام حسين حاطه الفاس بالكونية..  
معلومكم، الباص مال الجريه بيه عبريه وبيه ناس عدهم طعام وبيه ناس يالين غنم  
وصخول.. صارت خبصه..

نزكت الكونية وحطيتها بعربانه واخذتها لمحل حجي عبد النبي.. ما ارد اكول شي  
على معاملته ووزنه، هاي اخليها ليوم الغيامه!  
وزن الكونية حجي عبد النبي.. وبتالي رفعه شفت الفاس.. مديت ايدي عليها..  
وچان يصيح الحجي:

- ذبها.. ذبها..

هاي أنه مشترها وي الطعام!

كتله حجي.. هاي قصتها كيت وكيت..

ما فاد الحجي وياه.. كَال اتذبها يو اخلي الحماميل (ايسونك آدمي!!).  
والله ياجماعه وخليت الفاس بمحل حجي عبد النبي عين تضحك وعين تبجي  
ورحت اشتريت لام حسين فاس جديد وامري لله !!  
كنت منسجما في تلك اللحظة، مع الجمهور الضاحك، كنت أريد له الاستمرار في  
استمراء حكايات خلف الدواح، لكن إحساسي بمسؤولية (عريف الحفل) تلح عليّ من  
حين لآخر، فتفسد متعة المشاركة في الضحك والمرح.. ولطالما فكرت: قد ينقطع هذا  
الخيوط العفوي في أية لحظة.. وقد يُطلب مني تقديم فقرة من فقرات البرنامج - ولكنني  
افتقد النص المكتوب وكل محاولاتني تذهب عبثا - ويشير الرفيق المسؤول (مالك  
لازم!!).

فما عليّ إذن إلا التشاغل بالمايكروفون: أرفعه وأخفضه..  
وأحرّك اللاقطة على محورها.. وكل ذلك شبيه بما  
يفعل (المسبح) في مسبحته، لطرده الرتابة.. وخلق الشيء الجديد - أو اختلاقه..  
وفطن خلف الدواح إلى عبثي، ف (تناوشني) بنكتة لاذعة.. ضاعفت إحساسي  
بطول الوقوف بلا عمل..

أشار نحوي، وغمز بخبث، وهو يقول:  
- ابو كاطع.. كلش لايجه لك لزمة المكرفون  
واضنك ترضى لو سولفت هاي السالفة.. وشاهدها (مكرفونك) !  
(سنه من السنين، اجاني ريع زين، قررت اروح للزيارة - وهذاك الوكت چنت  
غشيم.. واول نويه اشوف بيها بغداد..  
ما اطولها عليكم، اجيت للكراج، شافني واحد، نشدني: ها زابر وين تريد؟ كتله  
اريد الكوت.. وچان يلزمني من ايدي ويكلي:  
-والله خوش صدفه، هاي عدنا تورن حاضره، وراح اكعدك بالسدر..  
صدك جابني يم سياره تتلامع، وفك لي الباب وكال: اتفضل اكعد بالسدر.. وكام  
يتنوع عليّ ويردد:  
ايباه اشلون لايكة لك كعدة السدر!!  
واخذ مني كروة تورن..

وظليت جاعد.. ساعه.. ساعتين.. كتلني الحر.. وهدومي تبللن من العرك.. وچان  
يجيني ابن حلال ويكللي:

- عمي هاي اشبيك كاعد اهنه؟

سولفت له السالفه.. وچان يضحك حيل حيل.. ويكللي:

- هلبت عندك عيون.. هلبت شايف دنيا؟!!

اشو انزل (باوع).. لمن تنوعت واشوف السياره بس كشر.. اثارى حتى تايرات ما  
بيها ولا مكينه.. ولا سخام ولا لطام!؟)

وساورني إحساس، مزعج: بأن الجمهور تناسى وجودي تماما، فالاثنان: أبو عباس  
وخلف الدواح يتناوبان الكلام..

وأنا خالي الوفاض.. حتى من ورقة البرنامج..

ولم أكلف بشيء.. عدا مطلب عاشق صوتي.. وهذه مهمة لا أستطيع القيام بها..  
وأشرت إلى الرفيق المسؤول (بعصبية) أطلب البرنامج المطبوع.. وكرر إشارته  
السابقة..

وجاء مزاج صاحبي، في تلك اللحظة، ليقول بصوت جاد:

- (أبوگاطع) لازم اتغني..

ولو أغنية قصيرة..

بين هالفقرة، والفقرة الجايه من حصه الفلاحين..

بمكان ما يحجي خلف الدواح - اللي اخذنا حاصل فاصل !

فلم يشن أحد على مطلبه.. وأدركت أن الجمهور منسجم مع خلف الدواح..

فشعرت بشيء من الحسد (الودي) !

وحينذاك نهض خلف الدواح وقال:

- عمي هاي فوك ما اسولف الكم..

وكل واحد منكم ضحك له اتغار ضحج..

انوب ايكول هذا الرفيق، خلف اخذنا حاصل فاصل!

ترا ابطل.. ما اسولف.. ترا ابيع سوالفي.. ابيع كل سالفه بكلاص شربت..

واستكان چاي وفنجان كهوه!

فضجت القاعة بالضحك والهتاف استحسانا لما قاله خلف وتأيدا لمطالبه..  
وارتفع صوت (أبو عباس) يتلو:  
وكنتم أقول لنفسي.. نستأصل هذه الشرور.. إذا استئصلنا أسبابها.. بل إذا  
(أعدمنا) المناخ الذي تعيش فيه..  
ثم سألت نفسي: عن أي مناخ (يُعدم) تتحدث يا رجل.. يبدو أن طول الوقوف قد  
أتعبك.. وصرت تتحدث عن (إعدام) المناخ.. وقد تتكلم عن أشياء  
أخرى..  
أليس (خلف الدواح) على صواب حين قال:  
وسمعت (أبو عباس) يطالب بمحو الأمية في الريف -  
وتلك فقرة في فصل (الثورة الزراعية الفلاحية)، أو قل هي مطلب من المطالب  
الملحة التي نادى بها الحزب ومازال..  
ومع يقين خلف الدواح بأهمية مكافحة الأمية ونشر التعليم في الريف.. لكن  
(حكم) النكتة كان هو الأقوى وكان تعليقه:  
- عندي سالفه، وشاهدها بيها.. هذا رفيقنا حمود بن شنين صديج (أبو غاطم)..  
ثم وجه الحديث إليّ وقال:  
(أبو غاطم) خو ما يصير بخاطر ك لو حجيت وحده من سواف صديجك؟  
ودون أن ينتظر إجابتي استهل حديثه بالقول:  
ذيج السنه، بأيام (بيت عارف) يوم من الايام اجا حمود بن شنين من الولاية، حاط  
بجيب بالطوّه (مال السدر) ثلث اقلام.. نشدته:  
- ها ولك يحمود؟ تسودنت؟ شنهني هذني الاقلام..  
وچان ايحط اصبعه على اشافه، ويشاورني:  
- ابو حسين، الحچي بيناتنا، هليام اهل (الاقلام) يكركون.. چا انتة ما شفت  
(ملا) الشيوخ صاير علينا ريس جمعيه، ويحكم مثل حكم الشيوخ؟ ونسيت ابن ابو  
البيينه، اللي بس متعلم يمضي اسمه بالقلم، هم صار (سكرتيل) للجمعية واخذله  
قطعتين كاع زايد..  
آنه كلت اريد اضحي لي بثلاثين فلس واشتري لي ثلث اقلام (امهات عشر  
فلوس) حتى بلكي ايسووني (فراش)

للجمعية، يو (مرافق) لريس الجمعيه !!).

كان جو الاحتفال يسمح بكل ما هو بعيد عن الكلفة والتكلف.. كان الجميع - إذا استثنيت نفسي - أنا عريف الحفل المشغول بالبرنامج الذي لم يصلني بعد- في حالة من الطرب والمرح بحيث لا تصح المحاسبة على أي تصرف (يعد في السلوك اليومي الاعتيادي غير مناسب). ولعل هذا هو الذي دفع (خلف الدواح) أن (يتظارف!) أكثر من اللازم، حين رأى المضيفون (يوزعون الشربت) مبتدئين بالصف الأول..  
فنهض ليعلن احتجاجه:

- چاهم اهنه.. اكو لحيه وإحيه؟! ليش تبدون الصف الاول؟ چان لازم تبدون من الصفوف الورانية.. لكن، انا ابوك يا حسين!! لازم آخذ حكي بيدي..  
وتقدم مسرعا، في الممر، نحو الشاب الذي يحمل صينية الشربت.. فتعثر..  
وتدحرج (عكاله) بين الكراسي..  
وضّجت القاعة بالضحك، وهوس أحدهم: أيبدل اكلاص الشربت بعكاله!! أيبدل اكلاص الشرت بعكاله!!

وقبل أن تهدأ عاصفة الضحك، قفزت إلى ذهني فكرة الانتقام (الودي) وحاورت نفسي: جاء دورك ياخلف الدواح والآن انتقم من حكايتك اللاذعة (اتلوک لك لزمة المكرفون) ورفعت يدي أطلب الهدوء والإصغاء وقلت:

- اسمحوا لي اعلق، على عكال ابو حسين، الضاع بين الكراسي..

لكن الحمدلله من طلعت سلامات بالعكال ولا بصاحب العكال..!

وهسه اسولف الكم سالفه،

خو السوالف موش قنطرات لخلف الدواح..

الوادم هم تعرف تسولف..

وعلا الضجيج.. والضحك. وأحسست شيئا من الراحة- ليس انتقاما من خلف-

ولكن شعوري بأنني مازلت قادر على لفت انتباه الحاضرين.. وقادر على اصطیاد

النكتة، في موعدها.. ورأيت ابتسامة خلف.. حقيقية.. لا شائبة فيها.. فهو يدين

بفلسفة أن إدخال الفرخ إلى قلوب الناس مهمة نبيلة..

وشرعت أتحدث، تعليقا على عكال (أبو حسين):